تاريخ

جزيرة كريت والمهاجرين

رفع محمود العثماني

د. علي إبراهيم بكراكي

دار المنى

تــاريــخ
جزيرة كريت والمهاجرين

LAU LIBRARY - BEIRUT
14 JUN 2004
RECEIVED

د. علي إبراهيم بكراكي

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م

دار المنى
طرابلس - لبنان
هاتف: ٤٣٤٨٣٦-٦-٩٦١+
٣٣٧٤٢٦-٣-٩٦١+
فاكس: ٦٢٥٥٧٦-٦-٩٦١+
dar-elmona@yahoo.com

إلى من زرع ولم يحصد...

إليك يا من غرست في نفسي العزم والثبات...

إلى روحك الطاهرة يا والدي الحبيب إبراهيم

أهدي هذا الكتاب

ولدك

د. علي بكراكي

بين يدي القضية

«إن لدى الدول الأوروبية ميزانين، أحدهما بالنسبة لجميع شعوب العالم وهو يزن الأمور بالعدل والقسطاس، وأما الآخر فهو بالنسبة لنا نحن المسلمين، وهو ميزان جائر خاسر.»

السلطان عبد الحميد الثاني

«إذا نجحوا في ضمها - أي كريت - إلى اليونان، فلا بد أن يأتي يوم يترحم فيه السكان على حكمنا. هذه الجزيرة الجميلة التي كلفتنا الكثير من الدماء والشهداء ستقطتع منا في نهاية المطاف.»

السلطان عبد الحميد الثاني

مقدمـــة

شهدت الأرض وقائع وأحداث كثيرة ومتنوعة في عصور مختلفة. واقتضت الحكمة الإلهية أن يعيد التاريخ نفسه ولو بأشكال متفرقة في حقب زمنية متباعدة. من هنا دأب الأجداد على رواية حكاياتهم لأبنائهم وأحفادهم ليستخلصوا منها العبر ويستعينوا على حياتهم بتجارب أسلافهم... فكانت كتابة التاريخ.

إن الأمة التي لا تاريخ لها ليست بأمة، ولا تستأهل أن ينظر إليها بعين الإعتبار. وموضوع الكتاب هو جزيرة كريت الكبيرة الخضراء في عمق البحر الأبيض المتوسط.

لقد شهدت هذه الجزيرة كثيراً من الأحداث بسبب جغرافيتها وطبيعة أهاليها، وتنازع القوى الأجنبية عليها لإستراتيجيتها وأهميتها.

وفي عصرنا الحديث، وبعد ظهور بوادر الضعف والهوان على أوصال الدولة العثمانية، تكاثرت الأيدي العابثة والقوى الغربية كما تتكاثر الأكلة على قصعتها. فعمل كل قوي على إقتطاع ما يناسبه من جسم الرجل المريض. وبعد نجاح فرنسا بالإستيلاء على الجزائر، وضعت عينها على تونس لتنقض عليها وتحتلها إبان معاهدة برلين وسط إحتجاجات عثمانية خرجت من دون فائدة.

في هذه الأثناء تعاظمت حركة المنافسة الإستعمارية بين فرنسا وبريطانيا حول إقتسام أراضي الدولة العلية. وبعدما تم شق قناة السويس في مصر، إزدادت أهمية هذا البلد من الناحية الإقتصادية، السياسية والعسكرية. ولم يكن في مقدور الخديوي إسماعيل باشا إدارة مصر بالطريقة المثلى، كما إختلق الإنكليز حجة هجومات يقوم بها السكان ضد المصالح الإقتصادية الأجنبية في مصر ليقوموا بإحتلالها عام ١٨٨٢م.

وفي هذه الأثناء، تشجع سكان جزيرة كريت الروم لفكرة الإنفصال عن الدولة

العثمانية والإنضمام إلى اليونان. قاوم العثمانيون ذلك بشدة، فظهرت حركات التمرد وبدأت أحداث العنف متعاقبة، وإشرأبت الثورات التي لاقت الترحيب والدعم من الغرب. فأرسل اليونانيون عساكرهم وسفنهم إلى كريت مما أدى إلى إشتعال فتيل الحرب بين اليونان والدولة العثمانية. سار القائد الغازي أدهم باشا على رأس الجيش العثماني فإلتحم بالجيش اليوناني في تساليا وهزمه هزيمة نكراء وقمع ثورة كريت عام ١٨٩٧م.

تدخلت الدول الأوروبية الكبرى فأوقفت الحرب وعقد صلح بين الطرفين أعطي بموجبه الحق لسكان الجزيرة في تقرير المصير. أعادت اليونان تدخلها العسكري في جزيرة كريت عام ١٩٠٨م فإحتلتها ليخسر العثمانيون هذه الجزيرة نهائياً بعد حروب البلقان وحالة التقهقر والإحتضار التي وصلوا إليها.

في نفس العام، خسر العثمانيون البوسنة والهرسك بنفس الطريقة، وسقطت الدولة العثمانية صريعة أمام حركات التمرد المدعومة من النمسا المستفيدة من الفوضى السارية في عاصمة العثمانيين إثر إعلان السلطان عبد الحميد الثاني مشروطيته الثانية.

أضحت الدولة العثمانية عاجزة عن حماية رعاياها، فكان من الطبيعي ظهور حملات التطهير العرقي والديني وتهجير المسلمين وقتلهم لإنهاء الوجود الإسلامي في أوروبا.

لم يكن بمقدور السطان عبد الحميد الثاني سوى إرسال السفن لحمل المهاجرين المسلمين من أماكن الإبادة إلى مناطق أكثر أمناً وطمأنينة في مملكته.

لقد كان قدر عائلتي أن تتهجر من جزيرة كريت إلى مدينة طرابلس في لبنان مع عدد لا بأس به من المهاجرين، كما سكن قسم آخر منهم في قرية الحميدية في سوريا.

لقد إسترعى إنتباهي منذ حداثة العمر لغة غريبة يتكلمها والدي وأعمامي مع بعضهم البعض ومع أقربائهم في قرية الحميدية. إنها لغة لا أفهمها ولا أدرك

معانيها رغم أنني كنت أستمتع كثيراً بأغانيها التي كان عمي رحمه الله يترنم بها وهو يداعبنا في أحضانه.

كنت أشعر بأنني عربي أنتمي للوطن الذي أعيش فيه، إلا أنه كان يسري في دمي حنين إلى شيء لا أعرفه ولا أراه ولكنني أحسه بمشاعري وفؤادي.

كنت أكثر من طرح الأسئلة على والدي رحمه الله. ما هي هذه اللغة؟ ولماذا تتكلمون غير اللغة العربية التي أعرفها أنا وأمي ولا نعرف غيرها؟ وما إلى ذلك من أسئلة التعجب والإستفهام التي يطرحها الصغير على والده لعله يجد ضالته وما يبحث عنه.

كان والدي يقول بأننا مهاجرون من جزيرة تدعى كريت، عاش فيها جدي بسعادة وأمان مع عائلته وأقرانه، ولكن الفتن عصفت بها وفرقت بين أهاليها فكان الدمار والقتل والتشريد والتهجير. كان والدي يروي قصص العذاب التي لحقت بالمهاجرين من جراء الإنتقال إلى مكان لا يجيدون فيه التفاهم مع الناس إلا بالإشارة والإيماء، وكيف قاسوا مرّ الحياة بعد عيشة العز والجاه، فكان عليهم أن يتعلموا الحرف اليدوية لكسب معيشتهم ودرء حاجتهم وهم أصحاب النفوس الأبية والشخصيات المتعالية. لقد كان عليهم أن يقبلوا بالقليل القليل بعد أن كانوا يشغلون الوظائف المهمة والمناصب العليا تحت كنف الدولة العثمانية في كريت.

لقد حلم الجيل الأول بالعودة إلى جزيرته، ولكن حلمه ما لبث أن تبدد مع ذهاب الدولة العثمانية وإنحلال عقدها عقب هزيمتها في الحرب العالمية الأولى.

أما الجيل الثاني فكان أكثر عقلانية، إذ تعاطى مع الحقيقة بطريقة أكثر واقعية، فإندمج مع أبناء وطنه الجديد، وأخلص للتراب الذي يعيش فوقه وللوطن الذي ينعم فيه بالأمن والسلام، فأجاد اللغة العربية وتصاهر مع السكان المحليين وكان شأنه شأن المواطن الأصلي بكل ما في الكلمة من معنى.

ثم جاء الجيل الثالث الذي أنتمي إليه، فتساءل عن الأصل والفصل وما جرى لأجداده من مئة عام.!

لقد سنحت لي فرصة دراسة الطب البشري والجراحة في إسطنبول - عاصمة الدولة العثمانية - على الدخول إلى الأرشيف العثماني والإطلاع على ما سمحت به الجمهورية التركية من وثائق تتعلق بحقبة الثورات والتهجير من جزيرة كريت. فعكفت على ترجمتها والأخذ منها ورسخت في ذهني معلومات كثيرة ومعان وددت لو أجمعها في كتاب أقدمه للمهاجرين فأحدثهم عن أصلهم وفصلهم وأجيب عن تساؤلاتهم.

ثم كان تعرضي لحادث سير سبباً في قعودي وإعاقتي عن الحركة فترة طويلة وما نتج عن ذلك من إنقطاع إجباري عن ممارسة مهنة الجراحة. لقد وجدتها فرصة ذهبية لأجمع أوراقي والقصاصات التي سبق ودونت عليها أفكاري وكتب التاريخ العثماني التي كنت قد أكثرت من قراءتها مراراً وتكراراً ووجدت فيها ما يرد على بعض أسئلتي، لأخط كتاباً طالما حلمت بكتابته.

لقد ساءني أن المهاجرين لا يملكون بين أيديهم ما يتحدث عن تاريخهم وهويتهم، وأنهم لا يستطيعون سوى رواية بعض القصص المتوارث عن الأجداد عن حكاية التهجير، دون علم بمجريات الأمور الإقليمية وأبعادها السياسية والدينية في تلك الأيام.

لقد حلمت بسد هذا النقص وملء هذا الفراغ ، وشاركني في حلمي هذا والدي رحمه الله وشجعني على تحقيقه، إلا أن منيته كانت أسرع من أن يرى عملي. ولكنني أشعر بالسعادة لتحقيق وصيته، فعملت بإرشاداته بعد مماته وأخذت بالجانب الإيجابي من توعكي وإعاقتي المؤقتة ليكون هذا الكتاب.

وقصة الهجرة من جزيرة كريت جزء من تاريخ الأمة الإسلامية. فطوبى للمهاجرين الذين تركوا الوطن والمال حاملين معهم العقيدة والدين إلى أرض الله الواسعة ليقضي الله أمراً كان مفعولا، والله غالب على أمره، والهجرة واقعة حتى يأذن الله.

د.علي إبراهيم بكراكي
طرابلس - لبنان
تموز ٢٠٠٣م

جغرافية كريت وأهميتها

إعتبر القدامى جزيرة كريت وسطاً للعالم نظراً لموقعها المتوجه شمالاً على مسافات متساوية بين ثلاث من قارات العالم الخمس.

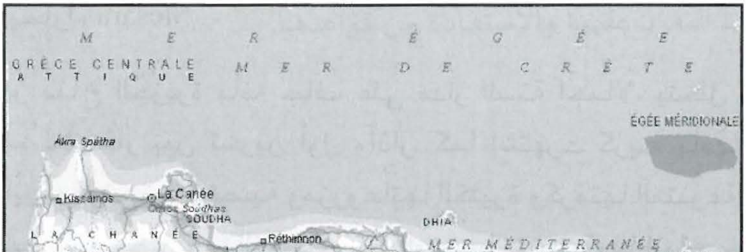

خريطة جزيرة كريت

تقع كريت عند مدخل بحر أرخبيل اليونان متوسطة بحر إيجة Ege في الشمال والبحر الأبيض المتوسط في الجنوب لتكون بذلك نقطة الوسط بين تركيا من جهة والبلاد العربية من جهة أخرى[١]. وهي الجزيرة الثانية من حيث المساحة بعد قبرص في البحر الأبيض المتوسط حيث تبلغ مساحتها ٨٣٩٣ كلم[٢] ، ٢٥٣ كلم طول، و ٥٦ كلم عرض. هذا الموقع كان ولا يزال مؤثراً قوياً ليس على مناخ الجزيرة وزرعها وحصادها فحسب، وإنما على نفسية قاطنيها وشخصيتهم وتقاليدهم.

عرفت الجزيرة بطبيعتها الخلابة التي لا تزال تجذب آلاف السائحين الأجانب سنوياً. فمن أبرز صفاتها الجغرافية سلسلة من الجبال العالية الشامخة من الشرق إلى الغرب، كجبال ليفكا أوري Lefka Ori أو الجبال البيض (٨٠٤٥ قدم) ، جبل بسيلوريتي Psiloriti (٨٠٥٨ قدم) وغيرها. أضف إلى ذلك الساحل الخلاب الممتد و قربه من الجبال، وجماله وغناه بشتى أنواع المزروعات وخاصة سواحل مدينة «خانيا» Khania و«ميسارا» Mesara .

يتميز مناخ الجزيرة بأنه جاف على مدار السنة إجمالاً، يتخلل ذلك موسم للأمطار بين تشرين أول وآذار. كما إشتهرت كريت بأنهارها وينابيعها وتربتها الخصبة ومزروعاتها الكثيرة وكرمتها المتنوعة مما جعلها بقعة خضراء متألقة في وسط المتوسط، تنبت فيها أنواع مميزة من النباتات والأعشاب التي يعرفها أهل الجزيرة الأصليون بشكل جيد كما يعرفون أوجه استعمالاتها الطبية والغذائية. أضف إلى ذلك أشجار الزيتون المثمر وهو ما اشتهرت به المناطق المجاورة لبحر إيجه[٢].

١- Büyürk Larousse Sözlük ve ansiklopedisi-9. Cilt- Sayfa 4583

٢- "A Brief History of Crete" by Spyros Koutsoupakis.

قسمت الجزيرة إدارياً أيام سلطة العثمانيين عليها إلى أربع محافظات هي:

* محافظة كسانيوس Nomos Xanios
* محافظة باتيمنيس Nomos Patimnis
* محافظة إيراكليوس Nomos Iraklios
* محافظة لاسيتيوس Nomos Lasitios

ولقد إعتمدت السلطات اليونانية نفس التقسيم العثماني بعد ضم كريت إلى أراضي دولة اليونان. تعتبر مدينة خانيا Khania أكبر مدن الجزيرة وعاصمتها في آن واحد، وتقع في محافظة كسانيوس، كما تحتوي على أكبر وأهم ميناء بحري في كريت[٢].

إن موقع الجزيرة الإستراتيجي وغناها الطبيعي جعلاها منذ القدم محط أنظار القوى العالمية، وبالتالي مسرحاً لأحداث دموية وحروب طاحنة لبسط النفوذ عليها والإستفادة من قواعدها.

٢ Büyürk Larousse Sözlük ve ansiklopedisi-9. Cilt- Sayfa 4583

من هم سكان كريت؟

تشير الدراسات أن كريت سكنت ٣٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وتحدثت بعض النظريات عن سكان الجزيرة وأعراقهم وأنها إما مصرية أو سامية. غير أن معظم هذه النظريات لا تعتمد بفحواها على أسس علمية صحيحة. وبناءً على دراسات مطولة للعالم بوليانوس Polianos فإن معظم سكان الجزيرة الأصليين لا يزالون أنفسهم حتى أيامنا هذه على الأقل منذ ٦٠٠٠ سنة، غير أننا نرجح إختلاط الأعراق في الجزيرة، خاصة وأنها تعرضت على مدار التاريخ لإحتلالات طويلة من قبل الروم، العرب، البنادقة ،الأتراك وغيرهم، بحيث يصعب تحديد أصل أسرة كريتية ما مئة في المئة. ويمكن القول أن سكان كريت هم خليط من الشعوب التي إستولت عليها وحكمتها إضافة إلى السكان القدامى الأصليين.

بسطت روما سيطرتها على جزيرة كريت بعد إنتصاراتها في آسيا

ومقدونيا، ثم بقيت الجزيرة بعيدة عن المناوشات القائمة بين الإمبراطورية الرومانية والبرابرة. ولكن عام ٧٣٢م برزت الحروب والصراعات الأيقونية المسيحية مع بابا روما، الأمر الذي دفع ليو الثالث Leo III إلى بسط سيطرته على كريت وفصلها عن البابوية الرومانية ملحقاً لها بالبطريركية القسطنطينية. ومن هذا التاريخ إتبع مسيحيو كريت الكنيسة الشرقية وتعاليمها[٤].

دخل الإسلام إلى كريت مع الفتح العربي سنة ٨٢٧م وإنتشر الدين الجديد ليعود ويضمحل مع استيلاء البندقية على الجزيرة. ثم ما لبث أن أصبح يمثل الأكثرية السكانية في العهد العثماني.

إندمجت العائلات المنحدرة من أصل عربي وتركي تحت شعار الدين الإسلامي والهوية العثمانية التي كانت تمثل الخلافة الإسلامية آنذاك. ولم يكن مستغرباً أن تؤول المناصب الكبرى والحساسة في كريت للمسلمين لأنهم كانوا يؤازرون الدولة العلية ويرعون مصالحها. فكان الوالي مسلماً على الدوام علماً أن مجلس العموم حوى الطائفتين الإسلامية والمسيحية معاً[٥]. ولا يجب أن نغفل السكان المسيحيين المنحدرين من أصل يوناني وهم الذين يعتبرون أنفسهم سكان كريت الأصليين ويدينون بولائهم لليونان بإعتبارها الوطن الأم. إن هذه الفئة من السكان كانت دوماً سبباً للثورات والتمرد ضد العثمانيين ومطالبةً بالإنضمام إلى اليونان.

بعد استيلاء اليونان على جزيرة كريت وتهجير المسلمين منها بشكل جماعي منذ عام ١٨٩٨م لغاية ١٩٠٢م، تحول المجتمع الكريتي إلى

٤- "A Brief History of Crete" by Spyros Koutsoupakis.

٥- الأرشيف العثماني، سجلات يلدز الخصوصية، وثيقة رقم ١٢٢/٤٢٦٨

مجتمع مسيحي بحت مع العلم أن قلة قليلة من المسلمين بقيت في كريت تحت الوصاية اليونانية ويقال أنهم تعرضوا لحملات تنصيرية بعد دخول الجيوش اليونانية إلى الجزيرة.[٦]

٦- Girit kıbrıs olabilir mi? Nükhet Adıyeke, Mersin Üniversitesi, Tarih bölümü

كريت تحت الحكم العربي

(٨٢٨م - ٩٦١م)

خطر جديد بدأ يلوح في المتوسط... إنه القرن السابع... لقد إستطاع الإسلام أن يرسخ قواعده وأقدامه في شبه الجزيرة العربية. وبرز والي دمشق معاوية بن أبي سفيان وقويت شوكته، فلاحظ أهمية السيطرة البحرية وقام بتأسيس أول أسطول بحري إسلامي عام ٦٤٩م ثم ما لبث أن غزا به قبرص وإحتل رودوس عام ٦٥٤م وبعد عام واحد بدأت السفن الحربية الإسلامية العربية تظهر أمام شواطئ جزيرة كريت فتنبه حكامها إلى الخطر العربي الوشيك القادم.

وفي القرن التاسع، ظهر عرب الأندلس بعد إنهيار الدولة الأموية وإستطاع أسطولهم القوي بقيادة أبو حفص الدخول عنوة إلى كريت، وحاصروا Gortyna التي قاومتهم بشدة وألقوا القبض على حاكم الجزيرة وأنهوا حكم البيزنطيين فيها عام ٨١٩م.

ثم ما لبثوا أن قاموا بتأسيس عاصمة جديدة على الشاطئ الشمالي للجزيرة على مقربة من كنوسوس Knossos وحفروا فيها خندقاً

(Handaki) الذي صار إسماً لهذه المدينة فيما بعد فعرفت بـ«قانديا» Candia أيام الحكم العثماني، وتعرف حالياً بمدينة هيراكليون Heraklion.

توالى على حكم الجزيرة أمراء عرب كانوا على صلة وثيقة بقرطبة الأندلسية وحكام مصر الفاطميين الذين كانوا يرسلون بإمداداتهم إلى كريت. وخلال فترة حكمهم قاموا ببناء المدارس والمساجد والآثار الإسلامية، كما اعتنق قسم كبير من سكان الجزيرة الدين الإسلامي وانخرطوا في مؤسسات حكامهم الجدد، بينما بقي القسم الآخر من السكان على ديانتهم المسيحية وفضلوا سكن الجبال والمناطق البعيدة عن النفوذ والتأثير الإسلامي المباشر.

حاول البيزنطيون استعادة سيطرتهم على الجزيرة فكانت أولى المحاولات عام ٨٢٥م ثم تلتها محاولة عام ٨٢٦م بقيادة الجنرال كارتيروس Karteros الذي إستطاع دحر العرب في بداية المعركة وبدا له النصر واضحاً فأقام سهرة ماجنة بهذه المناسبة. وشرب جيشه الخمر حتى الثمالة فإنقض المسلمون عليهم ليلاً وحطموا الجيش بكامله. إلا أن كارتيروس إستطاع الهرب على متن سفينته، فلحق به المسلمون وقاتلوه في جزيرة كوس Kos حيث لقي مصرعه هناك.

ويذكر المؤرخون حملتين ضد الحكم العربي الإسلامي في كريت، واحدة بقيادة هيميريوس Himerios عام ٩٠٢م والأخرى بقيادة جونجيليس Gongyles عام ٩٤٩م باءتا بالفشل الأمر الذي زاد من قوة ونفوذ العرب في الجزيرة وجعلها محط أنظار المسلمين الموجودين في إسبانيا، أفريقيا وسوريا.

أخيراً، إستقر رأي الإمبراطور البيزنطي على نيكفوروس فوكاس Nikephoros Phokas وولاه قيادة حملة جبارة لإستعادة كريت. أبحر القائد البيزنطي على رأس أسطول ضخم تألف من ٣٣٠٠ سفينة، ٢٠٠٠ منها حربية والباقي للمؤن والذخيرة والعتاد، كان ذلك في تموز ٩٦٠م. إحتمى المدافعون العرب وراء أسوار خندقة أو قانديا Candia المنيعة، فضرب القائد فوكاس عليها حصاراً قاسياً لمدة ثمانية أشهر إستطاع بعدها في آذار ٩٦١م من إختراق الأسوار واقتحام المدينة المحصنة.

يذكر المؤرخ العربي النويري مقتل ٢٠٠,٠٠٠ شخص من المسلمين وتنكيل وتدمير للمساجد وإغلاقها، علماً بأن المؤرخين الأوروبيين يشككون في صحة هذا الرقم ويعتبرونه مبالغ فيه. ومهما يكن، فإن الإرساليات اليونانية والأرمنية والبعثات التبشيرية ما لبثت أن تدفقت على كريت لإعادة الجزيرة إلى ما كانت عليه قبل الفتح الإسلامي وتنصير من إعتنق الإسلام من أهاليها.

بهذا تخرج كريت من الحكم العربي لتعود إلى الحكم البيزنطي من عام ٩٦١ م لغاية ١٢٠٤ م[٧].

٧- "A Brief History of Crete" by Spyros Koutsoupakis.

كريت تحت حكم البندقية

(١٢٠٤م - ١٦٦٩م)

منذ العام ١٢٠٤م لغاية العام ١٦٦٩م بقيت جزيرة كريت تحت حكم البنادقة الذين أحكموا السيطرة عليها عام ١٢١٠م بعد تفكك الدولة البيزنطية واقتسام أراضيها من قبل الفرنجة الذين باعوا كريت إلى البنادقة عام ١٢٠٤م فاستمر حكمهم مدة أربعة قرون ونصف.

برز خلال حكم البندقية لكريت عنصر جديد هو الإهتمام اليهودي بالتملك والهجرة إلى الجزيرة. قاوم البنادقة هذا الأمر بإصدار قوانين تملك تعجيزية لليهود تارةً ومنعهم من حق اللجوء السياسي إلى كريت تارةً أخرى مع إعطائهم حق العبور بأمان دون ذلك.

عاشت الجزيرة أياماً قاحلة في هذا العهد، وظهر التمييز الطبقي والطائفي بشكل واضح. لقد حرم الفقراء من دخول المدارس وأثكلت الضرائب كاهل الكريتيين الذين صاروا يتوقون إلى حكام جدد لتخليصهم من الإضطهاد البندقي خاصة وأنه اضطهد الكنيسة اليونانية ومنع الأورثوذوكسية وأبدلها بالقوانين اللاتينية. هنا لجأ

الكريتيون إلى الهجرة بإتجاه مصر وفضلوا العمل في أساطيل السلاطين المسلمين ناظرين بعين الكراهية إلى الحكام البنادقة ومقدمين العون للحكم العثماني الذي كان قد بدأ يظهر بقوة في أوروبا متميزاً بالرفاهية والعدل والإنصاف.

وكما جرت العادة، فلقد عرفت كريت أكثر من أربعة عشر ثورة وغيرها من حركات التمرد والعصيان ضد الحكم البندقي وخاصة بين ١٢٠٧م و ١٣٦٥م.

على صعيد آخر، تميز الوجود البندقي في كريت بكثرة الكوارث الطبيعية. فبينما حصد زلزال مدمر عام ١٥٠٧م أكثر من ثلاثين ألف شخص، تفشى الطاعون في (١٤٥٦م- ١٤٥٧م) و(١٥٢٢م - ١٥٢٤م) ليقضي على أكثر من خمسين ألف شخص ليعود بعد ذلك مرة أخرى عام (١٥٩٢م- ١٥٩٣م) مع زلزال آخر عام ١٥٩٥م ومجاعة فظيعة عام ١٥٩٦م لترهق سكان الجزيرة المحرومين أكثر وأكثر وكأنه يتم التحضير لوصول حاكم جديد ودولة جديدة.

وفي العام ١٦٤٥م حاصر السلطان العثماني إبراهيم الأول جزيرة كريت فإنقسم أهلها بين مدافع مع البنادقة ضد الغزو العثماني وموالٍ للعثمانيين في حربهم ضد البنادقة لأكثر من خمسة وعشرين سنة خسر فيها السكان أكثر من خمسين ألف قتيل مع دمار وخراب طال أهم مرافق الجزيرة نفعاً وحيوية[٨].

٨- "A Brief History of Crete" by Spyros Koutsoupakis.

كريت تحت الحكم العثماني

تمهيد

عمل سلاطين بني عثمان على إحتلال جزيرة كريت وإغتنموا شتى الفرص المناسبة لتحقيق ذلك. ففي عهد السلطان سليمان الأول القانوني، وعندما رفضت البندقية التحالف مع فرنسا والدولة العثمانية عام ١٥٣٧م، أراد القانوني معاقبتها فأرسل خير الدين باشا بارباروس مع نحو ألف سفينة لغزو ومحاصرة الجزر التابعة للبندقية، فغزا جزيرة كورفو[٩] وكريت ولكنه لم يوفق إلى فتحهما. فكان هذا هو الغزو العثماني الأول لجزيرة كريت[١٠].

وفي عهد السلطان سليم الثاني وتحديداً عام ١٥٧١م غزت المراكب العثمانية جزيرة كريت للمرة الثانية ولكنها لم توفق إلى فتحها أيضاً[١١].

٩- تقع على مستوى جنوب ألبانيا وشمال اليونان

١٠- «تاريخ الدولة العلية العثمانية»، محمد فريد بك المحامي، ص ٢٣٤

١١- «تاريخ الدولة العلية العثمانية»، محمد فريد بك المحامي، ص ٢٥٦

السلطان إبراهيم الأول فاتحاً لكريت

السلطان إبراهيم الأول

ولد السلطان إبراهيم الأول وهو إبن السلطان أحمد الأول في ١٢ شوال ١٠٢٤هـ الموافق في ١٦١٥/١١/٤م.

كان أهم ما قام به هذا السلطان هو فتحه لجزيرة كريت التي كانت تابعة لحكم البندقية كما سبق وأشرنا. وتذكر كتب التاريخ في فتح كريت قصة غريبة من حيث المضمون إلا أنها قد تكون واقعية. فلقد كان سائداً في تلك الحقبة تحكم غريب بسياسات الدولة وتوجهاتها تبعاً لنزوات ورغبات السلطان أوالصدر الأعظم اللذين قد تختلف رغباتهما بإختلاف إتزانهما العقلي وتوجهاتهما الفكرية. كما تأرجحت الفتوحات بين سلطان قوي محب للمعارك والقتال يتولى أمور دولته بنفسه، وآخر ضعيف ميال للهو والبذخ تاركاً أمور سلطنته للصدر الأعظم الذي يتحكم بالدولة تبعاً لنزواته وفكره هو الآخر.

تقول القصة بأن آغا السراري[١٢] Kızlar Ağası كان لديه جارية حسناء وضعت مولوداً حديثاً لها. أعجب بها السلطان وإختارها لتكون حاضنة

١٢- هو الآغا المسؤول عن قسم الحريم والخدمات في قصر السلطان

لإبنه الوحيد محمد، ثم إشتد شغفه بها فكان ذلك سبباً لمشاكل داخلية في السراي السلطاني. أراد الآغا وضع حد لهذه الشقاقات العائلية، فرأى أن يبتعد بالجارية وإبنها عن الآستانة بحجة زيارة بيت الله الحرام. وبعد أن أذن له السلطان بالسفر، تعرضت سفينته لهجوم مراكب رهبان مالطة فقتلوه وأسروا الولد ظناً منهم بأنه إبن السلطان، ونزلوا إلى جزيرة كريت فأحسن البنادقة إستقبالهم. ولما علم الرهبان حقيقة الأمر بعد ذلك، تبنوا الطفل وأدخلوه في ديانتهم وعرف عندهم بإسم بدري أوتومانو Pederi Otomano – أي والده عثماني.

إشتاط السلطان إبراهيم غضباً وأمر بحبس قناصل البندقية، إنكلترا وهولندة ولم يفرج عنهم إلا بعد أن أقنعه وزيره الأول بأن أغلب الرهبان هم من الفرنسيين، ومع ذلك فهم غير تابعين للحكومة الفرنسية أو غيرها. هنا هدأ باله ولكنه أمر بتجهيز عمارة بحرية قوية لتأديب كريت وفتحها لما لاحظ من أهمية موقعها وإستراتيجيتها.

وهكذا تم تجهيز الأسطول البحري العثماني المعروف بالدونانمة Donanma وسار باحتفال كبير تحت إمرة القائد يوسف باشا[١٣] الذي توجه إلى خانيا أهم ثغور الجزيرة وأكبر مدنها. ألقت السفن العثمانية مراسيها أمام كريت في ٢٩ ربيع الثاني ١٠٥٥هـ الموافق في ٢٤ حزيران ١٦٤٥م ودخلوا مدينة خانيا دون مقاومة تذكر لعدم وصول أسطول البندقية في الوقت المناسب. إنتقم البنادقة لسقوط خانيا بإحراق ثغور بتراس، كورون ومودون من بلاد المورة التي كانت تابعة للدولة العثمانية.

١٣– قتل يوسف باشا بناءً على طلب السلطانة كوزم والدة السلطان إبراهيم الأول بحجة أنه لم يقدم لهما نصيبهما من غنائم الحرب. «العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة»، محمد سهيل طقوش، ص ٥٨٨.

وفي سنة ١٦٤٦م أمر السلطان إبراهيم باستكمال فتح الجزيرة وضرب حصارٍ على أهم مدنها، ولكن عصيان الجنود العثمانيين في الآستانة وإنقلابهم على السلطان وتآمر الإنكشاريين عليه لعزله حال دون إنجاز الفتح. وبقي الأمر رهناً لإستتباب الوضع في العاصمة.

إنتهت العاصفة بعزل السلطان إبراهيم الأول ومن ثم قتله في قصره خنقاً وتولية إبنه محمد الرابع الذي كان دون السابعة من عمره[١٤].

١٤- «تاريخ الدولة العلية العثمانية»، محمد فريد بك المحامي، ص ٢٨٦-٢٨٨

سقوط كانديا بيد العثمانيين ومعاهدة ٢٦ أيلول ١٦٦٩م

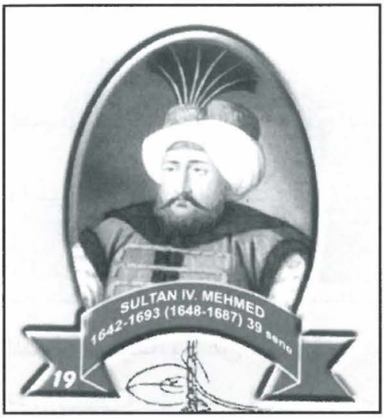

السلطان محمد الرابع

بعد إغتيال السلطان إبراهيم الأول وتعيين إبنه القاصر السلطان محمد الرابع خلفاً له، سرى في البلاد جو من الفوضى والفساد إلى أن تم تعيين محمد باشا الشهير بكنية كوبرولي Köprülü صدراً أعظماً سنة ١٦٥٦م الموافق في ١٠٦٧هـ.

عامل كوبرولي الإنكشاريين معاملة قاسية ووضع حداً لتجاوزاتهم، كما أعدم بطريرك الروم لمّا تثبت من تدخله في الدسائس والفتن الداخلية[١٥].

تأخر إستكمال فتح كريت في هذه الأثناء خاصة وأن فرنسا كانت تمد يد المساعدة العسكرية سراً إلى الأسطول البندقي مغتنمة فترة الفتور في العلاقات العثمانية – الفرنسية.

إستمر الدعم الفرنسي سراً حتى العام ١٦٦٧م حيث جاهر الفرنسيون بعدها بمساعدتهم للمحاربين البنادقة المتحصنين في مدينة كانديا

١٥– تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، د. علي حسون، ص ١٠٥

ومدهم بالسلاح والعتاد والأموال.

بعدما تأكد الصدر الأعظم الجديد من إستتباب الأمور في الآستانة، سار بنفسه على رأس جيش عثماني قوي أملاً منه بفتح ما تبقى من جزيرة كريت المحصنة.

لم يكن فتح كانديا سهلاً، فلقد إستمر القتال والحصار قرابة السنتين، قدّمت خلالها فرنسا دعماً كاملاً للمدافعين البنادقة وهو ما حمل السلطان العثماني من إتخاذ قرار بحرمان فرنسا من إمتيازاتها التجارية السابقة مع الدولة العلية العثمانية.

وأخيراً إضطرت الحامية إلى تسليم المدينة، فإستسلم القائد موروزيني في ٢٩ ربيع الثاني ١٠٨٠هـ الموافق في ٢٦ أيلول ١٦٦٩م بعد أن وقّع مع الصدر الأعظم معاهدة بالنيابة عن دولة البندقية تقضي بتنازلها للدولة العثمانية عن جزيرة كريت ما عدا ثلاث قرى في الشمال هي قره بوزا، سودا وسبينا لونجا. وصدقت البندقية على هذه المعاهدة في شباط ١٦٧٠م وأصبحت سارية المفعول[١٦].

١٦- «تاريخ الدولة العلية العثمانية»، محمد فريد بك المحامي. ص ٢٩٨

العثمانيون يحكمون السيطرة على كريت

السلطان أحمد الثالث

بعد كوبرولي محمد باشا، تعاقب على منصب الصدارة أشخاص ضعفاء فشلوا في الحفاظ على هيبة الدولة العلية وممتلكاتها، فإنقلب عليها الكثيرون وتجرؤا على أراضيها وكانت البندقية واحدة منهم. ولكن ما إن إستلم علي باشا منصب الصدر الأعظم في عهد السلطان أحمد الثالث، وكان غيوراً على مصالح الدولة العثمانية ميالاً للحرب، حتى أعلن الحرب على البندقية واسترد منها بالقوة شبه جزيرة مورة بأكملها.

وإظهاراً منه لجبروت وسطوة السلطنة العثمانية، أمر علي باشا بفتح القرى الثلاث التي استبقيت من كريت بموجب معاهدة ١٦٦٩م فكان له ما أراد عام ١٧١٣م لتصبح كريت بأكملها ولاية عثمانية ترجع بقراراتها وسياساتها إلى الآستانة والباب العالي في اسطنبول[١٧].

عاشت كريت تحت الحكم العثماني فترة تزيد عن القرنين والنصف كان معظمها حروباً ونزاعات، حتى يكاد لا يخلو شبر واحد من أرض الجزيرة لم يرتو بدماء الشهداء. كانت إدارة الجزيرة ودفاعها موكلة إلى حاكم تعينه الحكومة المركزية في إسطنبول، وفي غيابه كان آغا

١٧- «تاريخ الدولة العلية العثمانية»، محمد فريد بك المحامي، ص ٣١٥

الإنكشارية العثمانية هو الذي يتولى المهام مكانه.

قسم العثمانيون الجزيرة إلى ثلاث ولايات أو سنجق هي:

* خانيا Khania
* رثيمنون Rethymnon
* هيراكليون Herakleion

كانت كل ولاية تحت قيادة باشا عثماني، وكان عدد الإنكشاريين المسؤولين عن أمن الجزيرة يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ جندي موزعين في خانيا وهيراكليون بشكل كثيف مع إنتشار عدد قليل في باقي أنحاء الجزيرة خصوصاً الشواطئ والغابات.

تميزت الجزيرة بالتوزيع الطائفي السكاني بحيث سكن المسلمون السواحل وكانت الجبال من نصيب المسيحيين. وفي القرنين السابع والثامن عشر كان عدد المسلمين يشكل ضعفي عدد السكان المسيحيين. لقد ازداد عدد المسلمين نظراً لإعتناق الكريتيين والبنادقة للدين الجديد.

كانت وزارة العدل بيد المسلمين الذين أعطوا السكان المسيحيين الحرية الكاملة في ممارسة شعائرهم الدينية من غير اضطهاد، على أن يدفعوا الخراج الضريبي للدولة العثمانية[١٨].

١٨- "A Brief History of Crete" by Spyros Koutsoupakis.

ثورة داسكالوينيس Daskaloyiannis

(١٧٧٠م)

بعد فشل البنادقة بالدفاع عن كريت، تعلق مسيحيو الجزيرة بالإمبراطورية الروسية واعتبروها المنقذ الوحيد لهم نظراً لإعتناقهم نفس الدين والمذهب. كان بطرس الأكبر الروسي يحلم بمد إمبراطوريته جنوباً نحو البحر الأسود فكان بالتالي بطل مسيحيي البلقان. لقد استمرت سياسته بعد وفاته مع كاثرين الكبرى (١٧٦٢م - ١٧٩٦م) التي خاضت حروباً كثيرةً ضد الدولة العثمانية. لقد كانت الملكة كاثرين تحلم بإعادة إحياء الإمبراطورية البيزنطية - اليونانية بقيادة ابنها وصارت تسعى إلى ذلك عبر تحريض مسيحيي البلقان وجزيرة كريت للثورة ضد الحكم العثماني المسلم.

إستطاع مندوبوها استمالة داسكالوينيس ضد العثمانيين فأعلن الثورة عليهم في كريت، ولكنه كان مفتقراً للعتاد والسلاح. وكانت الأزمة الروسية- العثمانية في نهايتها، الأمر الذي حال دون تقديم المساعدات الحربية للثوار بالشكل المطلوب، فبقي داسكالوينيس وأعوانه وحيدين

أمام جيوش الإنكشارية الزاحفة من ثلاث محاور هي خانيا، هيراكليون ورثيمنون.

إستطاع العثمانيون القضاء على هذه الثورة وقمعها، فيما ألقي القبض على معظم قادتها ومن بينهم أخ وبنات داسكالوينيس الذي ما لبث أن وقع في قبضة العثمانيين وتم قتله تنفيذاً لحكم الإعدام وسلخ جلده حياً في الساحة العامة وانتهت ثورته من دون تحقيق مكاسب للمطامع الروسية في المنطقة"[١٩].

إحدى الثورات في الجزيرة

١٩- "A Brief History of Crete" by Spyros Koutsoupakis.

ثورات القرن الثامن عشر

كانت السنوات الخمس التي تلت عام ١٧٧٠م صعبة وحرجة في تاريخ الجزيرة. لقد كان الإنكشاريون يعيثون في الأرض فساداً ولم يكن بمقدور السلطان أو وزرائه الكبار بسط نفوذهم على هذه الفرق العسكرية الشاذة والمشاغبة.

وعند إعلان الدولة اليونانية وانفصالها واستقلالها عن الدولة العثمانية عام ١٨٢١م[٢٠]، إزدادت المخاوف العثمانية من حركات التمرد في كريت خاصة وأنها كانت تحظى بمباركة يونانية ودعم معنوي وعسكري من اليونان الطامعة في توسيع رقعتها وبسط سلطتها. لقد حظي أبناء كريت من الروم الذين قصدوا اليونان لتحصيل العلم بعناية خاصة. فقد تم إعدادهم وتدريبهم وترسيخ فكرة الإستقلالية عن العثمانيين في عقولهم، فكان لهم دور أساسي في قيام الثورات بعد عودتهم إلى كريت. لقد قام هؤلاء الأشخاص بزيارة القرى والبيوت

٢٠- العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، الثورة اليونانية، د. سهيل طقوش، ص ٣٣٩-٣٤٨

الكريتية بشكل منظم لدعم الحركة الإنفصالية عن الدولة العثمانية وإقناع عامة الشعب بتقديم العون والمساعدة للثوار. كما كان للكنيسة دور هام في إثارة السكان الروم على الحكم العثماني في الجزيرة، فكثرت حركات التمرد والعصيان وكانت المذابح والحروب الداخلية تشكل السمة الأساسية الواضحة في هذه الحقبة.[٢١]

كانت اليونان لا تنفك تحرض سكان كريت المسيحيين على افتعال وإثارة القلاقل في وجه العثمانيين. فقامت بإرسال مايكل أفانتولياف Michael Afentoulief ثم بيتر سكيليتسيس Peter Skylitsis لتنظيم وتسليح الحركات الإنفصالية في كريت.

وجدت الدولة العثمانية نفسها أمام وابل من الحركات الثورية في وقت كان الجيش العثماني يعاني من الإضطراب والزعزعة إضافة إلى الضعف الذي إعتراه من جراء التخلف وعدم القدرة على مواكبة التطور العسكري.

إضطر السلطان محمود الثاني للإستنجاد بوالي مصر محمد علي باشا الذي كان يقود جيشاً حديثاً ومنظماً. فبدأ الصراع يأخذ شكله الواضح عثماني- مصري ضد يوناني- كريتي مسيحي، كما استعان العثمانيون بفرق عسكرية ألبانية في نزاعاتهم في كريت[٢٢].

٢١- Hayat Tarih Mecmuası, İhsan Ilgar, 1969

٢٢- "A Brief History of Crete" by Spyros Koutsoupakis.

محمد علي باشا والياً على كريت

السلطان محمود الثاني

أصدر السلطان محمود الثاني. فرماناً بتاريخ ٥ رجب ١٢٣٩هـ الموافق في ٦ آذار ١٨٢٤م يقضي بتعيين والي مصر محمد علي باشا والياً على جزيرة كريت وإقليم مورة اللذين كانا يشهدان عصياناً مسلحاً من قبل جمعيات سرية تنادي بالإنفصال عن الدولة العثمانية[٢٣]. كانت هذه الجمعيات قد تأسست بتحريض من إسكندر الأول قيصر روسيا الذي كان يهمه إثارة المشاكل الداخلية في وجه الدولة العثمانية تنفيذاً لوصية بطرس الأكبر القاضية بالعمل على جعل القسطنطينية مفتاح الممالك الروسية.

٢٣- «تاريخ الدولة العلية العثمانية»، محمد فريد بك المحامي، ص ٤١٤

وفي أوائل العام ١٨٢١م كان عدد حملة السلاح من الشباب المتمردين يناهز العشرين ألف، إستطاعوا إحتلال بعض القلاع والحصون العثمانية وإثارة الفوضى في البلاد"[٢٤].

بناءً على الوضع الراهن عين محمد علي باشا إبنه إبراهيم باشا قائداً عاماً لهذه الحملة وأرسله على رأس جيش من سبعة عشر ألف من المشاة المصريين وبعدد من الفرسان مدعومين بالمدفعية. أبحر إبراهيم باشا في ١٩ ذي القعدة ١٢٣٩هـ الموافق ١٦ أيلول ١٨٢٤م من ميناء الإسكندرية على سفنه المصرية متوجهاً إلى جزيرة رودوس حيث إجتمع بالأسطول العثماني وتابع سيره إلى كريت فأعاد إخضاعها.

وكم خاب ظن الإنفصاليين عندما استثنيت جزيرة كريت من الضم إلى الأراضي اليونانية في معاهدة أدريانوبل Adrianople في ١٤ أيلول ١٨٢٩م التي عقدت بين روسيا والدولة العثمانية إبان خسارتها للحرب وإحتلال روسيا لمدينة أدرنة العثمانية. قامت الدولة العثمانية بتسليم حكم الجزيرة إلى محمد علي باشا الذي ساعد الدولة في حروبها وإخمادها للثورات مكافأة له على جهوده العسكرية. تولى الجزيرة مصطفى باشا الألباني الذي بدأ عهده بتعطيل صلاحيات الإنكشاريين ونزع السلاح من الشعب، كما ساوى بين المسلمين والمسيحيين أمام القضاء والقانون. كما قام بإنشاء الجسور وتعبيد الطرقات وتعمير المدارس وإصلاح ما أصاب الجزيرة من إهمال وتسيب منذ العهد البندقي. فكان من الطبيعي جداً أن تترافق هذه الإصلاحات مع رفع الضرائب علماً بأن أهالي كريت كان قد أصابهم العوز الشديد وأخذت الضائقة الإقتصادية تفتك بالناس الذين ما فتئت الحروب وويلاتها

٢٤- العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، د. سهيل طقوش، ص ٣٣٩-٣٤٠

تحصد جهودهم وتخرب بيوتهم.

بقيت كريت في عهدة مصطفى باشا حتى عام ١٨٤١م عندما استعاد العثمانيون سلطتهم المباشرة عليها بعدما وجد محمد علي باشا صعوبة التعاطي مع سكان الجزيرة وفضّل إعادتها إلى الحكم العثماني.

خلف محمد أدين باشا مصطفى باشا عام ١٨٥٠م ثم تولى (ولِيس باشا) Velis Pasha إبن مصطفى باشا الألباني ولاية الجزيرة، إلا أنه لم يكن صالحاً مثل والده فزاد الضرائب وضيق الحريات مما أجبر السلطان العثماني على عزله خاصة بعدما تزايدت مظاهرات الغضب الشعبية ضد سياسته[٢٥].

ثم ما لبثت معاهدة باريس[٢٦] (٣٠ آذار ١٨٥٦م) أن أعطت مسيحيي الجزيرة إمتيازات أكثر، بحيث صدر الخط الهمايوني وهو منشور التنظيمات أو الإصلاحات الخيرية في ١٨ شباط ١٨٥٦م مؤكداً على تطبيق مبدأ المساواة بين الطوائف الإسلامية والمسيحية وحرية المعتقد والحياة وممارسة الشعائر الدينية وإحياء الكنائس الكاثوليكية وإنتخاب بطريرك لكل ملة مدى الحياة، وغيرها من الإمتيازات والحصانة لرعايا الدولة العثمانية غير المسلمين، إضافة إلى إصلاح حال السجون والمساجين بشكل عام[٢٧].

٢٥- "A Brief History of Crete" by Spyros Koutsoupakis.

٢٦- «تاريخ الدولة العلية العثمانية»، محمد فريد بك المحامي، ص ٥١٣ - ٥٢١

٢٧- العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، د. سهيل طقوش، ص ٤١٤ - ٤١٧

رجل من المتمردين بزيه العسكري

فتنة جديدة في كريت

السلطان العثماني عبد المجيد

في هذه الأثناء، وفي عهد السلطان عبد المجيد، كانت السلطنة العثمانية منهمكة بإستكمال الإصلاحات التي بدأها السلطان محمود الثاني، الداخلية عموماً والعسكرية خصوصاً بعد القضاء على الإنكشاريين وما كانوا يمثلون من تسيب وفساد، وإنشاء جيش عثماني نظامي حديث مزود بأسلحة جديدة ومتطورة. ولا يمكن إغفال إنقلاب والي مصر محمد علي باشا وإبنه إبراهيم على السلطنة العثمانية في هذه الأثناء ومحاربتها مما أدى إلى إزدياد شرذمتها وضعفها. ولولا أن الدول الأوروبية كانت تعيش هي الأخرى فترة خصام ونزاع فيما بينها

لكانت هذه الحقبة هي المثلى للإنقضاض على العثمانيين والقضاء على ملكهم. إلا أنهم كانوا متفقين ضمنياً على متابعة زرع الفتن الداخلية والثورات المرهقة داخل الأراضي العثمانية لتفتيتها وإستنزافها ما أمكن.

توفي الصدر الأعظم رشيد باشا في أوائل العام ١٨٥٨م فخلفه في منصبه الحساس والخطير رجل سياسي محنك إشتهر بذكائه الحاد وقوة حجته وشخصيته، يدعى محمد أمين عالي باشا. فكان أول ما قام به أن عين فؤاد باشا وزيراً للخارجية، وكان هذا الأخير لا يقل فصاحة وبلاغة عن رئيسه عالي باشا، إضافة إلى حنكته السياسية وإخلاصه.

إستطاع الرجلان تحقيق الإستقرار والأمن في الأراضي العثمانية بحكمتهما وسداد آرائهما، أضف إلى ذلك نجاحهما بإخفات الأصوات الأوروبية داخل السراي العثماني وكف أيدي السفراء الأجانب بشكل فعال.

كانت المسألة الكريتية من الأمور التي أقضّت مضجع الرجلين خلال فترة توليهما الحكم. فواجهتهما المذابح المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين من سكان كريت ومحاولة إفتعال ثورة كادت أن تمتد وتنتشر ويكتب لها النجاح لولا حكمة فؤاد باشا الذي استمال الأوروبيين بحنكتة فعزل والي كريت، وعين سامي باشا والياً جديداً لإرضاء مسيحيي الجزيرة وإقرار الأمن والسكينة فيها[٢٨].

وبهذا تمكن فؤاد باشا من القضاء على فتنة كريت قبل استكمال فصولها، وأوضح للسفراء الأوروبيين عدم جدوى تدخلاتهم وإنعدام شرعيتها بوجود السلطة العثمانية المسيطرة على الوضع داخل أراضيها.

٢٨- «تاريخ الدولة العلية العثمانية»، محمد فريد بك المحامي، ص ٥٢٤

ثورة كريت الكبرى

(١٨٦٦م)

ثم ما لبثت المكائد أن أعادت نشاط الإنفصاليين المسيحيين الذين كانوا يحلمون بالتخلص من الحكم الإسلامي. وجاءهم المدد بالعتاد والرجال من اليونان، فظهرت حركة تمرد أخرى في ٢ أيلول ١٨٦٦م معلنة انضمامها إلى اليونان.

خافت اليونان من تبني هذه الثورة وبخاصة بعد تقاعس الأوروبيين الذين كانوا قد تعهدوا بالحفاظ على استقلال ووحدة الأراضي العثمانية. إلا أنه يجدر بالذكر التنويه إلى أن روسيا لم تتردد بدعم هذه الثورة ولكن بشكل سري.

لم يتعامل السلطان العثماني مع المتمردين باللين هذه المرة، وفضل اللجوء إلى القوة العسكرية وقمع العصيان بالسلاح مستفيداً من جو

الإستقرار العثماني الداخلي داخل كريت وخارجها. وكان على بضعة آلاف من المتمردين أن يواجهوا عشرات الآلاف من الجنود النظاميين العثمانيين والمصريين الذين أرسلهم الخديوي إسماعيل باشا لمساندة الجيش العثماني. تولى مصطفى باشا ورشيد باشا قيادة الجيش العثماني ضد المتمردين بقيادة كوراكاس، كرياريس، الحاج ميكاليس إضافة إلى كورونايوس، زيمبراكي وبتروبولاكي. وكانت حرباً ضارية وشرسة، إستطاع مصطفى باشا حسمها في غرب الجزيرة في تشرين أول ١٨٦٦م في معركة عرفت بواقعة أركادي[٢٩]، وتبعه رشيد باشا لتعود السيطرة العثمانية على كريت بعد هذا التاريخ بقليل[٣٠].

كانت المصادر اليونانية في هذه الأثناء تتحدث عن مجازر ضد المسيحيين في كريت، بينما الحقيقة أن المذابح كانت متبادلة من كلا الطرفين في زمن كثرت فيه الفتن وكان السبب بإفتعال المشاكل يعود دوماً لليد اليونانية الدخيلة التي استطاعت إستمالة بعض المسيحيين الكريتيين وتجنيدهم للبدء بعمليات القتل والسلب.

ويؤكد التاريخ أن كل شبر من كريت إرتوى بكميات هائلة من دماء البشر من مختلف الأجناس والقوميات والأديان.

٢٩- أو ارقاذي وهي الإقليم الشمالي الغربي من شبه جزيرة مورا

٣٠- "A Brief History of Crete" by Spyros Koutsoupakis.

الأبطال الحقيقيون المدافعون عن كريت

السلطان العثماني عبد العزيز

بعد النجاح العسكري الجزئي في قمع الثورة، أرسل العثمانيون مندوباً سامياً للتفاوض مع الثائرين يدعى محمد باشا الكريدلي، ولكنه كان على علاقة سيئة بأهالي الجزيرة بسبب ولايته السابقة عليها. وعندما إستقال محمد رشدي باشا من منصب الصدارة العظمى في ١١ شباط ١٨٦٧م، عين السلطان عبد العزيز محمد أمين عالي باشا مكانه ثانية، فكان من أول ما قام به إعادة المحنك فؤاد باشا إلى النظارة الخارجية، فكان عليه أن يواجه أكبر ثورة حقيقية في كريت. إستدعى فؤاد باشا المندوب محمد باشا الكريدلي وأرسل بطل القرم المظفر عمر باشا قائداً عاماً لجميع الجيوش المحاربة في كريت فحارب الثائرين بكل صرامة وشدة وإستطاع إستئصال الأشقياء من أوكارهم على صعوبتها ووعورتها حتى من مغارات الجبال. هنا تدخلت الدول الأوروبية كالعادة مطالبة بإرسال لجنة دولية إلى كريت لفض النزاع، ولكن الباب العالي رفض المبادرة وإنتدب السلطان صدره الأعظم عالي باشا مندوباً سياسياً للنظر في شؤون الجزيرة فسافر إليها بنفسه في ٤ تشرين أول ١٨٦٧م.

قام عالي باشا بتهدئة نفوس الأعيان في الجزيرة فمنحهم الأوسمة

حسين عوني باشا

والنياشين وأقال عمر باشا من منصبه وعين حسين عوني باشا والياً على كريت الأمر الذي حظي بإستحسان الناس، إضافة إلى إتخاذ التدابير الإصلاحية وفصل الإدارة المدنية عن العسكرية وجعل كل واحدة منهما متصلة مباشرة بالإدارة العلية للسلطان، فعاد من كريت مرفوع الرأس موفق المساعي في أوائل سنة ١٨٦٨م.[٣١]

ولا يمكن إغفال دور فؤاد باشا الكبير بالدفاع عن الجزيرة وإبراز حقيقة العصيان والتمرد للدول الغربية. لقد كان فؤاد باشا بالدراية السياسية الحكيمة والعقلانية والوطنية والدهاء إضافة إلى همته العالية نموذجاً فريداً. لقد بذل قصارى جهده للحفاظ على كريت، وكان صاحب فن عال في الخطابة باللغتين العثمانية والفرنسية، قادراً على إرتجال أروع الكلمات في أحلك الظروف. وقد ذكر معاصرون له ما جرى بينه وبين السفير الفرنسي في الآستانة المسيو بورا من حوار سياسي قاس ومبطن إستطاع من خلاله فؤاد باشا إبراز حقه وحجته جاء فيه:

* **موسيو بورا:** حضرة الباشا، تعلمون أنه ما من حل لعضو يصاب بالغرغرينة إلا البتر والقطع، أليس كذلك؟ لقد أصيبت كريت بالغرغرينة!

* **فؤاد باشا:** كلا مسيو بورا، إن كريت لم تصب بالغرغرينة. إننا كعثمانيين قادرين على إبراز قوتنا في كريت. عليكم أن تعلموا جيداً أن موقع كريت في الدولة العثمانية كموقع الرأس من الجسد ولا يبتر الرأس في أي حال من الأحوال. إن الدفاع عن كريت هي وظيفتنا ولن نبخل

٣١- «تاريخ الدولة العلية العثمانية»، محمد فريد بك المحامي، ص ٥٤٤ – ٥٤٥

عليها بأي تضحية وفداء!!!"[٣٢]

لقد حظيت اليونان بوعد فرنسي سري من قبل نابليون الثالث يقضي بالعمل على ضم كريت إلى أراضي المملكة اليونانية وذلك مكافأة لها على دعمها له خلال تطبيقه سياساته التوسعية وما جرّت على فرنسا من ويلات، وهذا بدوره يفسر إهتمام المسيو بورا بالمسألة الكريتية وحواره السابق مع فؤاد باشا.

وفي ٢٢ حزيران ١٨٦٧م، دعي السلطان عبد العزيز – الذي إشتهر بشدته وضخامة بدنه وقوته الخارقة – إلى باريس من قبل نابليون الثالث الذي إستقبله مع حشد كبير من أعوانه في إحتفال مهيب.

وفي حفل الغداء الذي أقيم على شرفه، جلس نابليون بالقرب من السلطان العظيم ودار بينهما حديث. وهمس نابليون في أذن السلطان قائلاً: يا حضرة السلطان، ألا تظن بأن أجمل حل لقضية كريت هو بتركها لليونان؟

ورغم وجود السلطان في هذا الجو الدبلوماسي في البلد المضيف إلا أن فرائضه إرتعدت عند سماعه لهذه الجملة فإنتفض قائماً وعليه علامات الغضب الشديد وقال لنابليون: عزيزي ، لقد حاربت الدولة العثمانية سبعة وعشرين عاماً لفتح جزيرة كريت وسالت دماء كثيرة للظفر بها. إن كل شبر من تراب كريت قد إرتوى بدماء شهدائنا. وسأدافع عن هذا الإرث الذي ورثته عن أجدادي ولو لم يبق في جيشي سوى جندي واحد، ومن أسطولي سوى زورق واحد!!!

وإحمرت عينا السلطان عبد العزيز من شدة التأثر والغضب فلم يجد

٣٢- «كريد» أرتين أمادوريان ومخدوملرى مطبعه سنده طبع أولنمشدر، ص ٦-٧

نابليون الثالث أمام هذه الحدة التي لم يتوقعها سوى أن قام وقدم إعتذاره لهذا السلطان العظيم وهذه الشخصية الفذة.[٣٣]

نهاية الثورة

إنعقد مؤتمر لمندوبي الدول الكبرى في باريس. وبعد مداولات وتبادل رسائل أصدر السلطان إرادة سنية في ١٩ أيلول ١٨٦٩م منح فيها الجزيرة بعض الإمتيازات الإضافية. لقد أعفى الفرمان سكان كريت من دفع الضرائب للدولة العثمانية ما عدا الجمركية منها، كما أعفاهم من الخدمة العسكرية، وأقرت اللغة اليونانية إلى جانب التركية لغة رسمية للجزيرة. كما تقرر أن يتناوب وال مسلم وآخر مسيحي على الحكم ، وأن يكون للوالي مستشارين إثنين، في محاولة أخرى لكسب ود الجانب المسيحي في كريت. إلا أن كل هذه المحاولات كانت لا تلبث أن تبوء بالفشل لتعود حركات التمرد إلى الظهور بتزكية يونانية جديدة.[٣٤]

لقد كانت ثورة ١٨٦٦م عنيفة ودموية إنتهت بتكريس الحكم العثماني في كريت. ولكنّ تدخّل الدول الأوروبية لإيجاد صيغة حكم خاص بالجزيرة ضمن للمسيحيين الأولوية والأفضلية على حساب المسلمين، وأعطاهم فرصة للتأهيل والتطور ليصبحوا مع الوقت أكثر جهوزية وتنظيماً وإستعداداً للإنفصال عن العثمانيين وإثارة مشاكل أكثر جدية في المستقبل.[٣٥]

٣٣- Tarihten günümüze ibret ışıkları - Osman Topbaş, Altinoluk - Ekim 1997

٣٤- www.osmanli700.gen.tr/padisahlar/32girit.html

٣٥- Hayat Tarih Mecmuası, İhsan Ilgar, 1969

كريت بعد عام ١٨٧٧م

بعد نشوب الحرب العثمانية – الروسية عام ١٨٧٧م– ١٨٧٨م، أصبح وضع الدولة العثمانية صعباً وحرجاً. لقد كان من الطبيعي أن يستفيد سكان كريت الروم من هذا الوضع الإقليمي العام، فقاموا بتنشيط عملياتهم الإنفصالية إضافة إلى الدعم الشديد الذي لقوه من الدولة اليونانية الحديثة الظهور. كما طالب الثوار بإدخال تعديلات على اللائحة الأساسية الصادرة في عام ١٨٦٨م التي قسمت الجزيرة إلى خمسة أقسام إدارية بهدف إنتزاع المزيد من الإمتيازات من العثمانيين المنشغلين بالحرب مع الروس.[٣٦]

أجبرت روسيا المنتصرة الدولة العثمانية في معاهدة أياستيفانوس[٣٧]

٣٦- العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، د. سهيل طقوش، ص ٤١٤ – ٤١٧

٣٧- تعرف أيضاً بمعاهدة سان ستيفانو ١٨٧٨م، انظر تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامي، ص ٦٥٩

كريت طابعاً دولياً.

إمتعضت إنكلترا من الإنفراد والتدخل الروسي في المسألة الكريتية، ولذلك قامت بإحضارها إلى طاولة البحث في مؤتمر برلين الذي إنتهى بمعاهدة خصصت المادة الثالثة والعشرون من بنودها للمسألة الكريتية. أجبرت الدولة العثمانية على إدارة كريت بناءً على نظام ١٨٦٨ وإبلاغ الدول الأوروبية بكافة المعلومات والتطورات المتعلقة بهذا الخصوص[٣٨].

السلطان العثماني عبد الحميد الثاني

أضعفت هذه المادة موقع الدولة العثمانية في جزيرة كريت أكثر وأكثر. فطالبت الدول الأوروبية الدولة العلية بتطبيقها مرات عديدة وأباحت لنفسها التدخل باستمرار في شؤون الدولة الداخلية بحجة الإستقصاء والتدقيق عن مصير المعاهدة. وكثر الضغط على السلطان عبد الحميد الثاني، فعهد إلى الغازي أحمد مختار باشا وأرسله إلى كريت للإصلاح والإتفاق مع العصاة في محاولة لنزع فتيل الفتنة. أجبر هذا الأخير على عقد

أحمد مختار باشا

٣٨- تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك المحامي، ص ٦٨٧

صلح مذل مع المتمردين برعاية قناصل الدول الأوروبية ومباركتها في موقعة هليبا Halepa القريبة من مدينة خانيا في ٢٣/١٠/١٨٧٨، عرف بمقاولة هليبا ومن أهم ما جاء فيه البنود التالية:

١. يعين والي كريت لمدة خمس سنوات ويمكنه أن يكون من المسلمين أو المسيحيين بشرط أنه إذا كان مسلماً وجب عليه أن يتخذ مساعداً مسيحياً وبالعكس.

٢. يتألف مجلس الولاية من ثمانين نائباً، منهم تسعة وأربعون مسيحياً وواحد وثلاثون مسلماً. يجتمع هذا المجلس مرة واحدة في السنة لإتخاذ القرارات المهمة المتعلقة بالجزيرة حسب المستلزمات والمستجدات المحلية والإقليمية.

٣. تعطى الأولوية للسكان المحليين بتقلد المناصب الحكومية والوظيفية في الجزيرة.

٤. تكون اللغة الرومية لغة رسمية إضافة إلى التركية.

٥. تجبى الضرائب من الجزيرة لتستعمل في سد حاجاتها وتعفى من الخراج المدفوع للدولة العثمانية.

٦. يمنع إستخدام العملة الورقية وتتعهد الدولة العثمانية بصيانة الحرية في الجزيرة.[٣٩]

وبهذه المقاولة الجديدة يبرز أثر السكان الروم الإنفصاليين في حكم جزيرة كريت بينما يهمش دور الأكثرية السكانية المسلمة أكثر وأكثر، ولكن الفتنة سكنت ولو بشكل مؤقت.

٣٩- www.mfa.gov.tr/turkce/grupb/hgb/14.htm

في هذه الأثناء كان والي كريت يدعى كوستاكي أدانيدس Kostaki Adanidis الذي عرف بإخلاصه للكنيسة الكريتية ودفاعه عن الإنفصاليين والمتمردين ودعم تحركاتهم بشكل علني واضح. لقد كان يهدف من وراء ذلك إلى الظفر بقلوب السكان الروم والتحول بالتالي إلى بطل قومي كريتي. كما إتخذ أعواناً من الأتراك مهمشين كان أبرزهم قاسم زاده حمدي بك وعاشور زاده حسن بك لم تكن لهم أي سلطة حقيقية سوى إضفاء الشرعية على ممارسات الوالي الرومي وتصرفاته المناوئة للعثمانيين.

لقد حظي كوستاكي باشا برعاية القنصل البريطاني في كريت طوماس ساندوفيتش Thomas Sandowich الذي سانده في قراراته ومنع مساعديه العثمانيين من إتخاذ أي إجراء فعال عبر تحجيم صلاحياتهم وتقليصها. وبعد إتفاقية هليبا، سارعت الدولة العثمانية إلى إستبداله بوال رومي آخر هو فوتيادي باشا Fotiadis الذي لم يكن أفضل من سابقه فقام بتقريب مناصري الدولة اليونانية والإنفصاليين الكريتيين إلى الحكم، كما حمى العصاة وقدم لهم المعونة بشكل سري ورعى سياسات القضاء على الوجود العثماني في كريت وإفتعال المجازر ضد سكانها المسلمين.[٤٠]

٤٠- Hayat Tarih Mecmuası, İhsan Ilgar, 1969

هجوم لم يقع...

تقلد السلطان عبد الحميد الثاني الحكم وفي كل جزء من أجزاء سلطنته مشاكل متجذرة وتاريخية عميقة. ومع أنه لا يتحمل مسؤوليتها إلا أنه لم يستطع أن يوجد لها حلولاً مرضية وواعدة خاصة وأن إمبراطوريته كانت تمر في حالة تداع ومرض شديد.

لقد واجهته معضلة جزيرة كريت منذ بداية حكمه وخاصة عامي ١٨٧٧ و١٨٧٨م مع تدخلات أجنبية سافرة في عمق المسألة. في هذه الظروف الصعبة لم تفتر عزيمة الدولة اليونانية في إثارة النعرات الطائفية وتقويض الوفاق الوطني والعيش المشترك بين المسلمين والمسيحيين في كريت. فكانت تجد دائماً ضعاف العقول من السكان المسيحيين لتثيرهم ضد الحكم العثماني رغم كل الإمتيازات التي منحها لهم.

وتجرأت الدولة اليونانية الحديثة العهد بالإستقلال على الدولة العلية

العثمانية بشكل سافر عندما بدأت تحركاتها على الصعيد الدولي لغزو كريت وإحتلالها بالقوة والسلاح.

وليس غريباً أن تقوم بذلك عندما نعلم أن فرنسا كانت تقف خلف اليونان في كل تحركاتها، وأنها لعبت دوراً رئيسياً في دعم ثورة كريت السالفة الذكر. هذا الموقف الفرنسي ، ولو حمل في طياته تحدياً للدولة العثمانية وإنتقاماً منها بسبب قرارها الذي إتخذته في حرمان فرنسا من جميع إمتيازاتها التجارية، إلا أنه ينبع حقيقة من المعلومات التي توصل إليها السفير الفرنسي في كريت حول الأطماع البريطانية في الإستيلاء على الجزيرة وإحتلالها وبالتالي التمتع بميزاتها دون غيرها من الدول الأوروبية[٤١].

إزداد إيمان الفرنسيين بهذه المعلومات عندما وصل إلى أسماعهم سيل من الشائعات والأقاويل في كريت تتحدث عن بيع الجزيرة للبريطانيين ورغبة الأهالي المسيحيين بالحماية البريطانية[٤٢]. ومع أن هذه الأقاويل برمتها كانت عارية عن الصحة، إلا أنها كانت كافية لتحريك الغيرة الفرنسية، لتحرك بدورها الأطماع اليونانية المعروفة للإنقضاض على كريت منعاً للإنكليز من الإستئثار بالجزيرة لوحدهم.

وفي العام ١٨٨٥م حدث ما لم يكن بالحسبان، فلقد خرج عشرة آلاف مجند يوناني بقيادة القائد العقيد باسوس Bassos مهاجمين لجزيرة كريت، وأعملوا القتل في مسلمي الجزيرة على مرأى ومسمع من الجميع[٤٣]. في الوقت نفسه، كان السفير اليوناني داخل الأراضي الكريتية

٤١- الأرشيف العثماني – سجلات يلدز – الأوراق الخصوصية – وثيقة رقم ١٨٧/٩٤
٤٢- الأرشيف العثماني – سجلات يلدز – الأوراق الخصوصية – وثيقة رقم ١٨٩/٢٠
٤٣- Muhtasar Osmanli Devleti Tarihi, www.enfal.de/otarih.htm

لا يتورع عن إستغلال الفرص لإثارة الإضطراب الداخلي أكثر وأكثر[٤٤]. وكانت السفارات اليونانية في الدول الأوروبية الكبرى تقوم بتحريضها على المساعدة والمساندة لإسترجاع حقوقها المزعومة في كريت وإنتزاعها من الحكم العثماني[٤٥]. وما هي إلا فترة قصيرة حتى كانت السفن الروسية، الأسترسية* الإيطالية، اليونانية، الألمانية، والإنكليزية أيضاً تتجمع في ميناء ومرفأ سودا[٤٦] Sude القريب من كريت لتطالب على لسان السيد غلادستون من والي الجزيرة إخلاءها وتسليمها لليونانيين بشكل سلمي من دون حرب.[٤٧]

قامت الدولة العثمانية بإقالة والي كريت وتعيين سافاش باشا Savaş Paşa مكانه. ولقد تم هذا التعيين بشكل سريع وشبه سري من دون أن يعلن عنه في الجرائد لعدم سماح الوضع بذلك. وأثبت الوالي الجديد أنه رجل موقف يعتمد عليه في الشدائد، فإستطاع أن يوحد الجهود ويقرب وجهات النظر وأن يؤمن الأمن والإستقرار في الجزيرة منتقلاً بها من حالة الفوضى إلى حالة جيدة نوعاً ما بعيدة عن المظاهرات وأعمال القتل والنهب[٤٨].

ثم ما لبث أن قام بمقابلة الأمير اليوناني جورج وبحث معه أمر السفن الحربية اليونانية القادمة إلى كريت[٤٩]. وأدت مساعيه إلى قدوم خمسة وعشرين سفينة حربية عثمانية إلى سواحل كريت لحمايتها من أي هجوم مرتقب.

٤٤- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ١٩٠/٧٤
٤٥- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ١٨٨/٥٦
٤٦- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ١٣٣-١٨٧/١٣٥
٤٧- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ١٨٨/٣٥
٤٨- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٤-١٨٢/٥
٤٩- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ١٨٩/٧٩

* أي النمساوية

على الصعيد الدبلوماسي، فلقد بذلت السلطنة العثمانية جهداً كبيراً لتسوية الوضع وتهدئة الأزمة المفتعلة مع الدول الكبرى وإعادة الأمور إلى نصابها.

أعطت الجهود العثمانية ثمارها، ووصل إلى السلطان العثماني خبر تراجع السفن الحربية الإنكليزية، الأستر ية،* الألمانية والإيطالية من ميناء سودا إلى ميناء بيرا Pire . ولم تجد فرنسا بداً من الإيعاز لحليفتها الدولة اليونانية بالتخلي عن هذه الحرب التي لم تعد في مصلحتها بعد التخاذل الدولي الواضح[٥٠].

ولكم تبرز معاناة الدولة العثمانية وتخبطها بعد ما فقدت أسباب القوة فإجتمعت عليها الدول الأوروبية كلها في حين عدم وجود دولة حليفة أو مسلمة واحدة تقف بجانبها وتساندها.

لقد إنقسم العالم بوضوح إلى قسمين متعاديين: الدولة العثمانية مع ولاياتها الإسلامية وباقي دول العالم المرتبطة ببعضها برابط الدين المسيحي والمصالح المشتركة المتفقة على تمزيق الدولة العثمانية وتقاسم أراضيها وممتلكاتها. وإذا كان العثمانيون قد قضوا على الدولة البيزنطية والكنيسة الشرقية وحول السلطان محمد الثاني الفاتح كنيسة آياصوفيا إلى مسجد، فلقد آن الأوان للعالم المسيحي أن ينتقم. ولهذا يقف رئيس بلدية إحدى المدن الروسية أمام إمبراطوره ليقول: «إن قلوبنا قد إستيقظت وأجنحتنا قد قويت، وسنظفر على سالبي آياصوفيا من جديد.»[٥١]

٥٠- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ١٩٠/١٤٥

٥١- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ١٩٢/٣٤

* أي النمساوية

وضع الجزيرة
بعد خطر الإحتلال الأخير

كانت المواقف الدولية من القضية الكريتية متضاربة في القرن التاسع عشر. فبينما قامت روسيا بتشجيع الحركات الإنفصالية الإستقلالية، تميزت السياسة الفرنسية بالتردد والحيرة. وكان الموقف البريطاني لا يزال داعماً للحفاظ على ممتلكات الدولة العثمانية ووحدة أراضيها وصيانة حدودها بما في ذلك سيادتها على جزيرة كريت. ولم يكن موقفها هذا حباً بالعثمانيين وإنما خوفاً من الإمتداد الروسي وازدياد إمتيازاته.

وبعد إستقلال اليونان وبروز أثينا في تبني الدعوة الهيلانية وإستقطاب أعداء العثمانيين في مقدونيا وجزر بحر إيجة وغرب الأناضول، ودعم المسيحيين في ثوراتهم ضد الحكم العثماني، إزداد قلق العثمانيين من النفوذ اليوناني فكانوا يسارعون إلى إخماد الثورات بالقوة من جانب ،

وإصدار فرمانات الإصلاح والترضية من جانب آخر.

أما بالنسبة لأبناء كريت، فلقد إنقسموا هم بدورهم إلى قسم محافظ يريد إستمرار الحكم العثماني للجزيرة وهم المسلمون، وقسم آخر ليبرالي ينادي بالإنفصال عن الحكم العثماني والإنضمام إلى اليونان وهم السريان الكاثوليك واليعقوبيون.

ومما لا شك فيه أن العامل الإقتصادي والإجتماعي والفروقات بين مسيحيي الجزيرة والطبقة الأرستقراطية الحاكمة وأغلبيتها من المسلمين كان من أهم عوامل الإنقسام بين السكان. إلا أن تأجج القومية اليونانية والتشجيع والدعم المستمر من حكومة أثينا للطرف المسيحي في كريت، وهو من يرى أن أرضه قد إحتلت وإستعمرت من قبل العثمانيين، إضافة إلى رفضه الإنضواء تحت جناح الحكم الإسلامي، كان عاملاً أساسياً في إقحام الأيدي الأوروبية في قضية كريت وتدويلها.

لقد سعى الجانب العثماني إلى إرضاء المسيحيين ومنحهم الإمتيازات تلو الأخرى، خصوصاً بعد بروز حركة تركيا الفتاة ومناداتها بما أسمته البرنامج الإصلاحي التغييري بين عامي ١٨٤١ و ١٨٧٦م وهو ما عرف بفترة التنظيمات Tanzimat في الآستانة. لقد نادت الحركة بإعطاء المسيحيين حقوقاً أكثر في كافة الأراضي العثمانية بما فيها كريت، بحيث تصبح الدولة أكثر ديموقراطية وليبرالية.

ومع أن مسيحيي كريت كانوا يشاركون بشكل فعال في حكم الجزيرة وإدارتها إلا أنهم كانوا ضمنياً يدينون بولائهم للمملكة اليونانية ولا يتوانون عن إفتعال المشاكل وإثارة الفوضى كلما أوحت إليهم اليونان

بذلك. فكانت الأزمات المفتعلة تخف وتزداد بحسب تواجد الجيش العثماني وأسطوله المرابض أمام شواطئ كريت أو إنشغاله في أماكن أخرى.

ومنذ العام ١٨٥٨م بدأت الكفة ترجح لصالح الجانب المسيحي في الجزيرة الذي إنتزع كثيراً من الإمتيازات السياسية والإقتصادية من المسلمين. وبينما كانت الدول الأوروبية الكبرى والمملكة اليونانية ترعى شؤون المسيحيين، كانت القوات العثمانية ملاذ المسلمين الوحيد في سبيل الدفاع عن وجودهم وكيانهم. إلا أن وضع الدولة العثمانية العام كان في تقهقر مستمر خصوصاً بعد ما خسرت الحرب أمام روسيا في عام ١٨٧٧-١٨٧٨م وإندلاع ثورات البلقان المستمرة. ثم كانت معاهدة برلين وما أتت به من إذلال للدولة العثمانية وإنتزاع حقوق أكثر لمسيحيي كريت بشكل يميزهم عن سائر الأقطار في الدولة العثمانية."٥٢

إن الوضع الطائفي في كريت وتأجج النار بين المسلمين والمسيحيين بشكل شبه مستمر، وإزدياد حركات التبشير في مناطق التواجد الإسلامي، إضافة إلى الإعتداءات المتلاحقة ضد السكان المسلمين وعائلاتهم وتجمعاتهم بالإضافة إلى مصالحهم الإقتصادية والمعيشية، وهو ما تؤكده الوثائق والتلغرافات العديدة المحفوظة في الأرشيف العثماني، جعلت من جزيرة كريت بؤرة من الفساد وجحيماً مستعراً لا يطاق.

٥٢- Trouble in Crete and the Nalkans, A Modern History by William Yale

أحداث ما بعد ١٨٨٥م

لم تكن كريت لتهدأ بعد ما جرى، فالنفوس مشحونة والأيدي الغربية تعبث بقدر هذه الجزيرة بإستمرار. لقد كانت مدينة خانيا تتمتع بإستقرار أمني ووفاق وطني بين سكانها المسلمين والمسيحيين إلى أن قام مجهولون بقتل مسؤول المدينة عارف باشا وهو مسلم كريتي[٥٣]. وفي نفس الوقت، وقعت حادثة إختطاف بنت مسيحية في خانيا فكان ذلك كافياً لقلب المدينة رأساً على عقب وبدء الهيجان بين السكان الخائفين على أعراضهم وأملاكهم[٥٤].

لم يقتصر الأمر على مدينة خانيا، فلقد حصلت أمور مشابهة في مدن وقرى أخرى في كريت حتى ساد القلق والإضطراب كل أنحاء الجزيرة. إضطر الباب العالي إلى إقالة سافاش باشا وتعيين كوستاكي أنطابولس Kostaki Antapulos الذي كان يشغل وظيفة في سفارة لندن، والياً جديداً مكانه.

٥٣- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٤٦/٢٠٢

٥٤- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٢٠-٢٣/٢٠٢

لم تكن مهمة جلب السكون والإستقرار إلى كريت بالأمر السهل خاصة وأن بذور الشقاق والعصيان كانت تغذى بشكل مستمر من أثينا.

في هذه الأثناء، كان وفد من أعيان الجزيرة في زيارة للباب العالي لبحث قضية الجمارك في كريت وجعلها تماماً بيد مجلس الجزيرة وأهلها. فكان لهم ما أرادوا وبادر الباب العالي إلى منح الوفد مئة وخمسين ألف قرش كدعم للولاية بمناسبة تولي كوستاكي باشا الحكم فيها[٥٥].

لم تكتف اليونان بتحريض أتباعها لإثارة المتاعب داخل الجزيرة، ولكنها أوعزت إلى الدول الغربية بتضييق التعاون الإقتصادي مع كريت مما زاد من العوز المادي وتردي الأحوال المعيشية فيها[٥٦]. ولم تلبث أن أعلنت عن إهتمامها بالأوضاع في كريت من جديد، فأرسلت وزير خارجيتها إلى الجزيرة للوقوف على حقيقة الإضطرابات الأخيرة. وعمل هذا الأخير على تعزيز أواصر الرابطة مع مسيحيي كريت بشكل قوي ومنظم بتشكيل وحدات خاصة مرتبطة مباشرة بأثينا، هدفها تحريك الأهالي ضد الحكم العثماني وتنفيذ أوامر الحكومة اليونانية حسب المقتضى.

ولكي تظهر اليونان مظهر البريء من كل ما يجري، أعلن الكونت اليوناني كالنوكي Kalnoki بياناً إلى أهالي كريت المسيحيين عبر القنصلية الإيطالية والأسترالية في مدينة خانيا، يأمرهم بإطاعة أوامر الدولة العثمانية وتنفيذ قراراتها.[٥٧]

إستمرت أحداث العنف في كريت، وعرفت سنة ١٨٨٨م بسنة التدابير

٥٥- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٢٠٢/٤٦
٥٦- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٢٠-٢٠٢/٢٣
٥٧- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٢٠٤/٢٦٠

الأمنية. فلقد تم تهجير سكان قرية سلمة Selme المسلمين من منازلهم إلى مناطق أكثر أمناً في الجزيرة نفسها في تدبير أمني وقائي للحفاظ على أرواحهم وحمايتهم من عمليات القتل المتكررة وغارات المسيحيين على هذه القرية."[٥٨]

لقد كانت هذه الحادثة هي الهجرة الأولى لمسلمي كريت على نقاط ضيق، ولكنها كانت مؤشراً قوياً على إقتراب العد التنازلي للوجود الإسلامي في الجزيرة.

وإنطلقت شرارة أخرى من خانيا حيث قتل العصاة الروم بعض رجال بارزين مسلمين. لم تكن مساعي الوالي السلمية وإستخدام القوة قادرة على قمع حركة المتمردين، فتم إرسال بعثة عثمانية جديدة إلى كريت تمثلت بكل من أحمد راتب باشا و محمود جلال الدين باشا اللذين زارا الجزيرة وإطلعا عن كثب على حقائق الأمور فيها. ولكن التوصيات التي أعطياها لم تكن لتروق للمتمردين أو تخدم مصالحهم، فكانت حادثة دموية أخرى ومجزرة كبرى في سيبرونا Sebrona ذهب ضحيتها الكثير من المسلمين والرعايا الأتراك."[٥٩]

تنبهت السلطات العثمانية إلى ما يجري فأرسلت طابوراً عسكرياً كاملاً إلى كريت لحماية الرعايا المسلمين، كما أبدت إمتعاضها من الوالي كوستاكي باشا الذي لم يلبث أن قدم إستقالته عائداً إلى إسطنبول بعد إحساسه بالفشل وعدم قدرته على إرساء الأمن في الجزيرة. فأرسل الباب العالي إلى سفيره في روما فوتيادي باشا وعينه والياً على كريت في١٣/٨/١٨٨٨م الموافق في ١٣٠٥ هـ[٦٠] وفي ١٤/٨/١٨٨٨م تم

٥٨- الأرشيف العثماني – سجلات يلدز – الأوراق الخصوصية – وثيقة رقم ٦٨/٢١٢

٥٩- Hayat Tarih Mecmuası, İhsan Ilgar, 1969

إنتخاب أعضاء مجلس كريت العمومي بهدوء تام من دون ضجة ولا مشاكل.

كان فوتيادي باشا قد تقلد ولاية الجزيرة من قبل، وكان على علم ودراية بمشاكلها وأمورها، ولكنه إعتذر عن الحضور إلى كريت وتسلم المنصب الجديد بسبب مرض ألم به، علماً أنه كان قد قام بمحاولات عديدة لتمديد فترة ولايته السابقة. والحق أنه بالرغم من الحوادث الأخيرة، إلا أن عهد كوستاكي باشا كان عهد إصلاح وإنتظام في الأحوال المالية والإقتصادية، وساهمت مساعيه في حل الكثير من المشاكل العالقة في الجزيرة. فلم يجد الباب العالي بدّاً من إعادة تكليفه بولاية كريت إلى حين تمكنه من إيجاد البديل المناسب لهذا الموقع الحساس.

في هذه الأثناء هاجم الثوار قلعة آياكولا Ayakule في كريت وحاصروا حاميتها، فإضطر العثمانيون إلى إرسال جيش لقمع الثوار وإنقاذ العسكر العثماني من الحجز وذلك في ٣/١٢/١٨٨٨م.

وفي ٥/١٢/١٨٨٨م كان طابور عثماني يغادر إزمير Izmir ومنيسا Manisa لدعم التواجد العسكري العثماني في كريت.[٦١]

وفي ٦/١٢/١٨٨٨م أعلن السفير البريطاني عن رغبة بلاده في إنزال عساكر إنكليزية من السفن الحربية البريطانية الراسية بالقرب من ميناء مدينة خانيا لحماية الرعايا والمصالح البريطانية في الجزيرة. إلا أنها إضطرت للعدول عن ذلك بعد ما سارعت باقي الدول الأوروبية إلى إعلان نفس الرغبة في إنزال جيوشها في كريت.[٦٢]

٦٠- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٤٤/٢١٣

٦١- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٦/٢٢٨

إستمر الوضع على ما هو عليه إلى أن إهتدت الحكومة العثمانية في ١٨٨٨/١٢/٧م إلى نيكولاكي سارتينسكي باشا Nikolaki Sartinski الذي لقي تعيينه والياً على كريت ترحيباً واسعاً من الجانبين الإسلامي والمسيحي.[٦٣]

بعد تسلم نيكولاكي باشا لولايته، عمد إلى تقريب المعتدلين الروم وإستبعاد قادة التمرد والعصيان عن سدة الحكم، فإجتمع بعض الأعضاء المسيحيين في المجلس العمومي للجزيرة نذكر منهم نيكولا زوريديس Nicola Zoridis، ياني ميهاكي Yani Mihaki، آريستيدي كيرياري Aristidi Kiriari، آندريا كاكوري Andrea Kakori و منوس إسحاقيس Mennos Isihakisi وأعلنوا عن رغبتهم بإلحاق كريت بالمملكة اليونانية. ثم قاموا بزيارة القرى الكريتية وتشجيع الشعب على التمرد مستغلين الشعور الديني عند البعض.[٦٤]

إعتبرت هذه التصرفات خيانة لمنصبهم وخروجاً عن صلاحياتهم، فإتخذ نيكولاكي باشا التدابير اللازمة ضدهم. على أثر ذلك، قام السفير الروسي بالتدخل، الأمر الذي إضطر الحكومة العثمانية إلى إرسال إنذار إليه يحذره من التدخل في ما لا يعنيه من شؤون كريت الداخلية.

ثم ما لبث أن قام المسلحون الروم دون سابق إنذار بعمليات قتل وتخريب ذهب ضحيتها الآلاف من المسلمين الكريتيين، فحرقت المنازل ودمرت المتاجر وصودرت الأرزاق. وحدث أن هاجم المسلمون السفارة الروسية في خانيا كبرى المدن الكريتية مرات متتالية بسبب تواطئها مع اليونان. فكان لهذا الأمر أثر سيئ، إذ قدمت الشكاوى للباب العالي

٦٢- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٢٢٨/١٨
٦٣- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٢١٤/١٤
٦٤- Hayat Tarih Mecmuasi, İhsan Ilgar, 1969

وعلت أصوات الإحتجاج. ولم يكن بمقدور نيكولاكي باشا السيطرة على الوضع فإضطرت الحكومة إلى عزله ودعوته إلى إسطنبول وتوكيل علي رضا باشا والياً مكانه ريثما تستقر الأوضاع، وكان ذلك عام ١٨٨٩م.

لم يبد علي رضا باشا جسارة في حكم كريت فإعتذر وتولى منير شاكر باشا منصب الوالي الجديد فإتخذ تدابير عسكرية صارمة كانت كفيلة بوضع حد للعصاة والمتمردين وإنهاء حالة الهيجان والفوضى وبزوغ شمس السكينة والإطمئنان.

لم يكن هذا السكون ليروق لأثينا وهي التي تريد إقتطاع كريت من جسد الدولة العثمانية بإثارة المشاكل في وجهها بصورة مستمرة، فعمدت إلى سياسة تشجيع قتل المسلمين وتخريب مصالحهم وحقولهم وإجبارهم على تفضيل الهجرة والرحيل منها. كما عملت على دفع الهجرة المسيحية بإتجاه كريت في محاولة لرفع عدد السكان المسيحيين في الجزيرة قدر الإمكان وتقليص التواجد الإسلامي فيها. لقد كانت الهجرة المسيحية إلى كريت تتم بفائق السرية والتنظيم، وإستمرت الآلة التآمرية بحبك خيوطها ضد التواجد العثماني – الإسلامي في الجزيرة المستهدفة بالرغم من إستتباب الأمن وحلول السلام فيها.[٦٥] وتتابعت الإشتباكات بين متمردين مسيحيين وحامية الجزيرة من الجيش العثماني في مدينة ساراسكارليك Saraskarlik فإعتدى المتمردون على مراكز الشرطة، وأرسلت حكومة الباب العالي وحدات إضافية من الجيش العثماني لتأمين الدعم اللازم والمساعدة للرعايا المسلمين والحامية الموجودة في كريت.

٦٥- Hayat Tarih Mecmuası, İhsan Ilgar, 1969

تطورات سياسية على الجبهة الكريتية

كانت محاولات اليونان مستمرة لإثارة المتاعب في جزيرة كريت في وجه الدولة العثمانية من جهة، والسعي لكسب التأييد الأوروبي العالمي من جهة أخرى. وكانت حجة هجرة بعض المسيحيين من كريت إلى أثينا خير ذريعة لطلب اليونان التدخل في شؤون الجزيرة الداخلية، الأمر الذي كان يقابل بالرفض القاطع من الجميع.[٦٦]

وسعت اليونان إلى إثبات حضورها العسكري في الجزيرة، فقامت بحشد بعض من سفنها الحربية في منطقة سيرا Syrah، وكان السفير الألماني قد أبرق إلى السلطان عبد الحميد الثاني يعلمه بالإتفاق على تجمع السفن في المنطقة المذكورة.[٦٧]

إستخدمت اليونان جميع الطرق الدبلوماسية الممكنة لإستمالة الرأي العام الأوروبي، فبعثت ببرقيات متعددة إلى مختلف الجهات تشرح

٦٦- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٢٢٨/١٨

٦٧- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٢١٤/١٤

وجهة نظرها من المسألة الكريتية ووجوب ضم الجزيرة إلى اليونان. رفضت هذه البرقية من الأمير الألماني بسمارك الذي أبلغ السفير اليوناني في برلين أن الأراضي العثمانية هي مستقلة ولا يحق لأي دولة التدخل في شؤون الدولة العثمانية ولا في أي بقعة من ممتلكاتها.

كذلك علقت بريطانيا بالرفض على البرقية اليونانية عبر اللورد سالسبوري Salsbury رئيس حزب المحافظين الذي أبلغ السفير اليوناني في لندن أن برقية حكومته بشعة وقبيحة للغاية.[٦٨] لم يصدر أي تعليق رسمي روسي على البرقية ولم ترسل بأي جواب إلى الجانب اليوناني وهو ما علمته الخارجية العثمانية ظاهرياً على الأقل.

على صعيد آخر، فلقد نفى السيد كريسبي Crispy بإسم الحكومة الإيطالية تلقي أي برقية يونانية في هذا المضمار. ومن ضمن ردود الفعل الدولية على المحاولة اليونانية الدبلوماسية، فلقد أرسلت فيينا برسالة إلى السفارة الأسترالية تتحدث فيها عن عدم حق اليونان بالتدخل في أمور كريت وأن كلاً من بريطانيا، إيطاليا وألمانيا متفقة على هذا الأمر. بدورها أبلغت السفارة الأسترالية نظارة الخارجية العثمانية رفضها الصريح للتدخلات اليونانية.[٦٩]

لم تعجب المملكة اليونانية بهذه الردود، وشعرت بفشل مساعيها السياسية لقلب الحقائق وتأليب الرأي العام العالمي ضد العثمانيين، فأوعزت إلى أتباعها بإثارة المشاكل مجدداً في الجزيرة. على الفور، هاجم بعض المسيحيين جنوداً عثمانيين في منطقة كيسامو Kisamo وجرحوا إثنين منهم. كان الرد العثماني بمصادرة بعض أغراض الكنيسة في هذه المنطقة رداً خاطئاً بحيث أتاح المجال للصحافة

٦٨- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٢٢٨/٦٥

٦٩- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٢٨٨/٦٩

اليونانية بتصوير الموضوع على أنه شكل من أشكال الإضطهاد العثماني الإسلامي للوجود المسيحي وحرياته الدينية في كريت.[٧٠]

شجعت أثينا الشعراء على نظم أبيات تحكي عن التعسف العثماني كما أغرت الرسامين برسم لوحات تجسد الهمجية العثمانية في الإعتداء على الكنائس وتدنيس حرمتها وقامت بإرسالها إلى العواصم الأوروبية في محاولة لكسب تعاطف الشعب الأوروبي ودعمه لقضية ضم كريت إلى الدولة اليونانية.[٧١]

تعاطف الروس والإنكليز والفرنسيون والإيطاليون وإمتلأت صحفهم بأخبار كريت وحكايات القهر التي يتعرض لها الروم من قبل الإدارة العثمانية. ووجدت الدعاية اليونانية صداها فنشرت مجلة Daily News مقالاً بشأن المظالم العثمانية ضد المسيحيين في كريت. وعلى الرغم من تأكد السفراء الأجانب في كريت من عدم صحة هذه المعلومات وتضخيمها، إلا أن وكيل والي كريت شاكر باشا تلقى توصيات بالإنتباه والدقة وتوخي الحذر في تحركاته في هذه المرحلة الحرجة لئلا تُستغل أي حادثة ضد الوجود العثماني في كريت عالمياً.[٧٢]

وبقيت بريطانيا تتحين الفرص لتحقيق ما كانت تخفيه من مآربها وأطماعها في الدولة العثمانية، وأعلن السيد سالسبوري Salsbury أن الجزيرة يجب أن تنفصل عن الدولة السيئة كما وصفها، وأن أمنها وإستقرارها لن يتحقق إلا بذلك. ولكن مجلة تايمز Times كذّبت هذا الخبر ونفته كما ورد في التقرير المرسل إلى السلطان عبد الحميد الثاني حول هذا الموضوع.[٧٣]

٧٠- الأرشيف العثماني – سجلات يلدز – الأوراق الخصوصية – وثيقة رقم ٩٦/٢٢٨

٧١- Hayat Tarih Mecmuası, Ihsan Ilgar, 1969

٧٢- الأرشيف العثماني – سجلات يلدز – الأوراق الخصوصية – وثيقة رقم ٣٢/٢٣٠

٧٣- الأرشيف العثماني – سجلات يلدز – الأوراق الخصوصية – وثيقة رقم ١٨/٢٢٨

الأحكام العرفية في كريت

يبدو أن العثمانيين ضاقوا ذرعاً بالممارسات اليونانية فأرسلوا أسطولهم ليرسوا في ميناء كريت ليعززوا وجودهم العسكري الإستراتيجي من جهة، وليمنعوا التواصل بين المتمردين المسيحيين والإمدادات اليونانية من جهة أخرى. ويعتبر هذا العمل بمثابة إعلان الأحكام العرفية في كريت.

في الوقت نفسه عمل العثمانيون على إعمار الخانات المهدمة والمعاهد والمدارس وشجعوا عودة المزارعين إلى أراضيهم، فبدأت قوافل النازحين تعود من اليونان إلى كريت عبر جزيرة بيرا Pire اليونانية. وإستطاع العثمانيون أن يبرهنوا عن حسن نواياهم تجاه الجزيرة وسكانها من غير المسلمين. كما إستغل العثمانيون الوضع إعلامياً، فأرسل وكيل والي كريت شاكر باشا تحريراً إلى سفارة بريطانيا مظهراً فيه الإصلاحات العثمانية وإستتباب الأمن في الجزيرة وهو ما تم نشره

في الجرائد البريطانية.[٧٤]

بعد ذلك أصدر السلطان عبد الحميد الثاني فرماناً أعلن في الجزيرة باللغتين التركية واليونانية، تلاه ناظر الخارجية العثمانية، حمل عفواً عاماً لمذنبي كريت وهو ما لاقى ترحيباً وحفاوة وفرحة شعبية عارمة.

كانت أخبار كريت تتصدر الصحف اليومية العالمية في هذه الفترة، ولقد علّق الإيطالي السيد كريسبي Crispy على ذلك بقوله: «ليست المشكلة في كريت نفسها، وإنما في موقعها الذي لو لم يكن كما هو لما كانت الحال في كريت على ما هي عليه الآن.»[٧٥]

٧٤- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٦٧/ ٢٣٠

٧٥- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٦٥/ ٢٣١

كريت قبل الحرب العثمانية - اليونانية

إذن كانت اليونان تثير المشاكل الداخلية من عرقية ومذهبية في كريت، ثم تستغلها إعلامياً لإستعطاف الدول الأوروبية الكبرى والحصول على دعمها وتأييدها في قضية ضم الجزيرة إلى الأراضي اليونانية. ومع العلم بأن العثمانيين كانوا قادرين دائماً على إعادة الإستقرار الأمني إلى الجزيرة المشحونة، إلا أن نجاحهم كان لا يلبث إلا الوقت اليسير لتعود حركات التمرد والشغب إلى مسرح الأحداث مرة تلو الأخرى.

وبعد عودة الحياة الدبلوماسية والقانونية إلى كريت بفترة وجيزة، عادت عمليات القتل والنهب والتخريب لتظهر من جديد، وعثر على إثنين من المسيحيين مقتولين على شاطئ منطقة سلنة Sülne ليتهم العسكر العثماني فوراً بهذه الجريمة.

في الوقت نفسه كانت السلطات العثمانية تفرج عن السجناء المسيحيين المحكومين تطبيقاً لفرمان العفو العام الحميدي.

وتبع ذلك مقتل قروي مسلم وثلاثة من العساكر العثمانية في نفس المنطقة، فتأججت نار الفتنة بين الأهالي من جديد وبدأ عهد الغارات المتبادلة بين القرى الإسلامية والمسيحية ونتج عن ذلك فلتان أمني ومذابح مروعة بين الطرفين، إلا أن الكفة هذه المرة كانت لصالح المسيحيين المدعومين عسكرياً من اليونان.

لقد كان العصاة في حال جهوز تام سري ، وما هي إلا أيام قليلة حتى إرتفع عدد حملة السلاح ضد العسكر العثماني إلى ألف وخمسماية نفر. وكانت الكنيسة في كريت بإيعاز من أثينا تشجع على الثورة ضد المحتل العثماني الذي إعتبر مغتصباً لأرضهم ومحتلاً لبلادهم. فقويت عزيمة المتمردين وإشتد بأسهم خصوصاً بوجود الدعم العسكري اليوناني وأخذت الثورة ضد العثمانيين طابع الحرب المقدسة، فإستمر إزدياد أعداد المتمردين إلى حوالي خمسة آلاف مقاتل بعد ذلك بقليل.

لم تعد حامية كريت العسكرية قادرة على السيطرة على الثوار فكان لا بد من إرسال وحدات إضافية من الجيش العثماني إلى كريت لدعم الرعية المسلمة المفتقرة إلى السلاح والتدريب. وهكذا تحرك عبد الله باشا إلى ميناء سودا وأرسلت وحدة عسكرية أخرى إلى كاليفا Kalive وتم القضاء على العصيان بالقوة في سيبرونا وروماتا Sebrona & Romata وتخليص المسلمين المحاصرين في هذين الموقعين.[٧٦] ولكن الوضع كان يزداد سوءاً، وكانت الكرة تفلت من أيدي العثمانيين أكثر فأكثر، فعمدت السلطات العثمانية إلى تسليح مسلمي كريت للذود عن أنفسهم. فالعثمانيون لم يعودوا قادرين على إرسال وحدات إضافية من الجيش لحاجتهم الماسة إليه في مواقع أخرى لا تقل أهمية عن كريت

٧٦- Hayat Tarih Mecmuası, İhsan Ilgar, 1969

ولأن العين الأوروبية كانت تنظر بحنق وغضب وإستنكار لكل تدخل عثماني عسكري قمعي ضد مسيحيي كريت المعتدين.

وتُعاود الدولة اليونانية إرسال البرقيات سراً إلى الدول الكبرى في ٢٤/٥/١٨٨٩م ولكن دون جدوى أيضاً، خاصة وأن الأمن كان مستتباً وأن السيطرة العثمانية على الوضع العام كانت جيدة من دون شوائب، وما تبع ذلك من إنهاء الأحكام العرفية وإعلان العثمانيين عودة النشاط السياسي الحر في الجزيرة وترحيب السكان بهذا التقدم.[٧٧]

٧٧- الأرشيف العثماني - سجلات يلدز - الأوراق الخصوصية - وثيقة رقم ٢٣٥/٧

الموقف الأوروبي الجديد من قضية كريت

لم تذهب الدعايات اليونانية الإعلامية سدى، فاجتمع سفراء الدول الأوروبية في الخامس والعشرين من شهر آب ١٨٩٦م مع الباب العالي وأبلغوه قراراتهم التالية:

١- يجب أن يكون والي كريت مسيحياً توافق على تعيينه الدول الأوروبية وتكون مدة ولايته خمس سنوات.

٢- يحق للوالي رفض أي قرار يأخذه المجلس العمومي في الجزيرة.

٣- يحق للوالي اللجوء إلى القوة العسكرية لقمع أي حركة يعتبرها تضر بأمن وسلام الجزيرة.

٤- يشكل الموظفون المسيحيون ثلث الموظفين الحكوميين في كريت.

٥- تشكل لجنة من قبل الحقوقيين الأوروبيين لإجراء الإصلاحات الإدارية، العدلية والقانونية المناسبة.

٦- يحق للوالي رفض إستقبال العرب القادمين إلى كريت وخاصة من بنغازي، كما يحق له أن يطرد من يشاء منهم من الجزيرة وأن يمنعهم من الإستيطان أو العمل فيها.[٧٨]

٧٨- Hayat Tarih Mecmuası, İhsan Ilgar, 1969

البرقيات اليونانية والعثمانية إلى أوروبا

لم تكن عزيمة أثينا لتفتر وقد بدأت بشائر الإستفادة من كل حملة تقوم بها تلوح في الأفق، سواء أكانت عسكرية أم دعائية بخصوص كريت. وفضلت بعيد القرارات الأوروبية أعلاه إستغلال جميع بنود هذه الإتفاقية، كما إستمرت بإستثارة همم الأوروبيين ومتابعة الدعايات وإرسال البرقيات إلى العواصم الغربية وهذا نص إحداها:

« إلى العالم الإنساني المتحضر، مدوا يد المساعدة إلى إخوانكم المظلومين في كريت. إن هؤلاء المقهورين مهددون في بيوتهم بأموالهم وأرواحهم. كل يوم يقتل منهم ألوف ويشرد ألوف. فإذا ما نظرتم إلى كريت لرأيتم كيف أنها تحولت إلى مقبرة جماعية للمسيحيين ومكان ذل وهوان لأبنائهم. إن قلوبكم ستعتصر دماً وستذرف عيونكم دمعاً عندما ترون ما يعانيه إخوانكم المساكين من أنواع العذاب والشقاء. إنهم يبذلون دماءهم وأرواحهم للخلاص والنجاة من ظلم العثمانيين إلى أحضان أمهم المخلصة والحنونة وإلى صدر إخوانهم اليونانيين. فساهموا بمد يد المساعدة والمعونة إليهم.»

لقد كانت الأحداث تنتقل بشكل عكسي إلى العالم. فالحقيقة أن القتلى والمشردين كانوا من المسلمين والرعايا العثمانيين في كريت. أما من قام بقتلهم فكانوا من السكان الروم الثائرين بدعم يوناني، ولكن الدعاية كانت تقوم على نصرة الدين المسيحي المظلوم والمقهور في كريت بينما الحقيقة كانت عكس ذلك تماماً.

لم تستطع الدولة العثمانية السكوت أكثر من ذلك عن مجريات الأمور في كريت فرفعت هي الأخرى كتاباً مفصلاً إلى الدول الكبرى تبين فيه حقيقة ما يجري فيها، وتكذب إدعاءات اليونان بقتل المسيحيين واضطهادهم، كما تظهر فيه ما يتعرض إليه المسلمون من ذبح وتشريد. ومما جاء في الرسالة العثمانية ما يلي:

«لم يتورع السكان الروم عن إفساد حالة السكون والرفاهية التي تعيشها جزيرتنا كريت رغم كل ما تقدمه الدولة العلية إليهم من دعم وإمكانات وتعاون. لقد إستطاعوا أن يحولوا كريت إلى بؤرة فساد ومنتجع للصوص والفارين من العدالة، فصارت غير قابلة للسكن والعيش وخصوصاً من قبل رعايانا الأتراك والمسلمين.»

وتابعت الرسالة قائلةً: «منذ سنة كاملة تقريباً والروم يحرقون البيوت ويصادرون الأرزاق ويتلفون المحاصيل في قرى كريت الإسلامية، ثم يقولون للعالم أن المسلمين قتلوا أولادهم وشردوا نساءهم وصادروا أموالهم ويصورون الحقيقة معكوسة إلى العالم. إن الإعلام اليوناني يسوّق الأفكار الخاطئة والمزاعم الكاذبة على أنها الصدق والحقيقة إلى العالم. إننا نعلن بأننا لم نعد نتحمل هذه الدرجة من الكذب والخيانة كما نبلغكم تكذيب جميع إدعاءات السكان الروم على النحو التالي:

أولاً: لقد تم الإعتداء في مدينة خانيا على القرى التالية: Psatoyano، Babilo، Romata، Pisires، Strine، Gorano ، Konfo، Alikiyano، Vatolakos، Valeero Nitissa، Limnidre، Modi، Pisikopi، Lotraki، Sebrona، Pirgo، Sirili وغيرها، فأحرقت منازل المسلمين وقطعت أشجار الزيتون وسرقت الماشية وعربات النقل، كما قتل أربعة وعشرون رجلاً وأربعة نساء وثمانية أطفال بعد أن عذبوا بشكل فائق القسوة.

ثانياً: جرت حوادث مشابهة في مدينة كانديا والقرى التالية: Samino، Kisamo، Aman، Miliyopotamo، Resino، Ayosvasilis، Apkorona وغيرها، فسيقت المواشي إلى الجبال ودمرت المنازل بطريقة مماثلة كما قتل ما يزيد عن مئة مسلم بعد تعذيب شديد وتمثيل ثم أحرقت جثثهم في مساجد القرى المذكورة.

ثالثاً: تم القبض في ناحية Prolya على سبعين متمرد رومي ثبت ضلوعهم في حوادث القتل والتخريب، وأدخلوا السجن المحلي مدة خمسة عشر يوماً دون التعرض لهم بالأذى وتم تسليمهم إلى الحكومة العثمانية سالمين من أي مكروه.

رابعاً: قام حسين آغا وهو عجوز بإلقاء القبض على من قتلوا إبنه وجرحوا صهره جرحاً بليغاً وسلمهم إلى الجهات المختصة دون التعرض لهم بالأذى وهو ما يفعله غيره من الرعايا العثمانيين المسلمين الذين لم يتعرضوا لأي من جيرانهم المسيحيين بالأذى والتجريح، على العكس تماماً مما تدعيه حكومة أثينا.

خامساً: تقوم الدولة اليونانية بمد الثوار بالمال والسلاح والعتاد

وتستنهض هممهم لإشعال نار الفتنة والشغب وعدم الإستقرار في كريت. إن العصاة الروم يقتلون الناس ويهددون أرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم ونحن نريد أن نضع حداً لأعمال العنف والجريمة التي يقوم بها هؤلاء.»[٧٩]

٧٩- Hayat Tarih Mecmuası. İhsan Ilgar. 1969

الرد الأوروبي- اليوناني

كانت الإمبراطورية الروسية تشجع قيام حركات التمرد على حدود الدولة العثمانية وتساعد على دخول العصابات إلى الروملي، مقدونيا، تساليا وكريت. وبناء على محاولة أوروبية بلجم عمليات العنف والإرهاب في كريت، تم إرسال أسطول أوروبي حليف إلى المياه الكريتية. وبدلاً من قمع حركات التمرد، قامت الأساطيل الأجنبية وعلى رأسها الأسطول الروسي بمد يد المعونة إلى الثوار الروم وهو ما يمكن إعتباره خيانة كبرى للعهود والمواثيق الدولية.

والغريب المستهجن أن اليونان بدورها قامت بإرسال سفينتين حربيتين هما Hidra & Alfeyon إلى المياه الكريتية لتساعد الحلفاء على قمع الثورة وأعمال العنف في كريت! وإستمرت فصول المسرحية تتتابع، فدخل بضعة آلاف من الجنود اليونان إلى كريت وإختلطوا مع عصابات الروم المسلحة وقام الضباط اليونانيون بتدريب الثوار وتنظيمهم ليدخل الإرهاب ضد المسلمين مرحلة فاضحة وواضحة للجميع.

وإستكمالاً للمسرحية والمهزلة الدولية، قامت قناصل الدول الأوروبية بإعلام حكوماتها عن فداحة الأمر وسوء الأوضاع في كريت، ولم يكن منصفاً سوى المسيو بلان Blanc الفرنسي الذي حمّل الدولة اليونانية مسؤولية ما يجري في كريت من أعمال عنف وإرهاب وأرسل تقريراً مفصلاً إلى حكومته تحدث فيه عن العبث اليوناني بأمن كريت وسلامة السكان، وكان ذلك في السابع من شباط ولا يزال محفوظاً في الكتاب الأصفر الفرنسي بشكل علني.

وما لبث أن ظهر إدعاء يقول بأن شعب كريت قد إجتمع وقرر الإنضمام للدولة اليونانية وأنه يدعو الملك اليوناني إلى إحتلال الجزيرة.

قامت الدولة اليونانية بإرسال بعثات دبلوماسية سرية إلى العواصم الأوروبية تعلمهم بقرار الكريتيين المزعوم ووصلت أنباء ذلك إلى حكومة الباب العالي. ولقد دار حوار بين مستشار الخارجية الفرنسية كورزون Curzon والمبعوث اليوناني كاماراس Avam Kamaras جاء فيه على لسان كورزون ما يلي:

«لقد وصلتنا أنباء كافية ووافية من قنصلنا في خانيا وأميرال بحريتنا في المتوسط تفيد أن العثمانيين غير مسؤولين عن حوادث العنف الأخيرة في كريت. كما وصلتنا أنباء عن دعوة تلقاها زعماء التمرد إلى أثينا ولكننا نجهل الوسيلة التي ذهبوا بها إلى هناك. ونعلم أيضاً أنهم لما عادوا إلى كريت قاموا بلقاءات عديدة مع قادة العصيان المسلح المحليين الذين أوعزوا إلى الروم الذين يسكنون بجوار المدن ضرورة نقل أثاثهم وأمتعتهم وماشيتهم إلى الجبال وأن يحتموا هناك. ثم ما لبثت حركات الشغب والثورة أن بدأت في كانديا حيث هجرت العائلات التركية والمسلمة إلى المدن والقرى المجاورة. نحن نعلم أن الحكومة

اليونانية تقف وراء كل ذلك وهي المسؤولة عن حال الفوضى والذعر في كريت.»[٨٠]

لقد وصل الفساد والظلم في كريت ضد الرعايا المسلمين إلى حد فظيع جداً بحيث أن اللورد كورزون وهو من عرف بكراهيته للدولة العثمانية ودعمه المستمر للوجود اليوناني لم يستطع إخفاء الحقيقة وكتمها. ونشرت مجلة التايمز مقالاً جاء فيه:

«إذا كان لا بد من قول الحقيقة بتجرد، فإنه من الواضح أن الدولة العثمانية جمعت فوق أراضيها مللاً وشعوباً تدين بأديان مختلفة وتنتمي إلى أقوام وأعراق متنوعة. إن العثمانيين لم يتعرضوا لهذه القوميات وتركوا لها الحرية الكاملة في المعتقد والعادات والتقاليد. إنه لمن الغريب أن تقوم الدولة اليونانية بلعب دور المظلوم والمقهور بينما تقوم على أرض الواقع بتغذية ودعم حوادث القتل والإعتداء.»

في الوقت نفسه كان رئيس الوزراء اليوناني يصرح أمام المجلس النيابي في بلاده أن كريت ستكون للدولة اليونانية وأن أثينا تعمل ما في وسعها لتظفر بها في نهاية المطاف.

٨٠- Hayat Tarih Mecmuası, İhsan Ilgar, 1969

آخر ثورة في كريت
والحرب العثمانية - اليونانية

إتخذ الملك اليوناني قراراً بإرسال إبنه الثاني الأمير يورغي إلى كريت وتظاهرت الدول الأوروبية بإتخاذ تدابير لمنع حصول ذلك. كما تلقى طابور عسكري يوناني بقيادة باسوس Bassos أمراً بدخول كريت فوصل إلى مشارف خانيا في الخامس عشر من شباط وقام بإنزال بحري على شواطئ بلاتونيا Platonya. وكتبت الصحف اليونانية مهللة:

«لقد بزغت الشمس المرتقبة منذ سنين، لقد تحققت آمالنا، لقد وصلنا إلى كريت».

وما لبث الملك اليوناني أن أعلن تبعية كريت لإبنه الأمير يورغي وإنضمامها إلى الدولة اليونانية، كما أمر بإجراء المعاملات الحكومية تبعاً للنظم والقوانين اليونانية. ولكن الدول الأوروبية عارضت هذا القرار بشدة وأرسلت عريضة إحتجاج إلى أثينا في الثاني من آذار جاء

فيها ما يلي:

١- لن تسمح الدول الأوروبية الحليفة بإلحاق كريت إلى الدولة اليونانية بأي شكل من الأشكال.

٢- تعهدت الدول الحليفة بالحفاظ على وحدة الأراضي العثمانية ولكنها ستمنح جزيرة كريت إدارة خاصة إستثنائية ووضعاً مميزاً.

٣- تطالب أوروبا الدولة اليونانية بالانسحاب العسكري الفوري من جزيرة كريت.

٤- ستضطر القوات الحليفة إلى إستخدام القوة في حال رفضت الحكومة اليونانية الإنصياع لإرادة الحلفاء وعدم الإنسحاب الكامل من كريت.[٨١]

جاء الرد اليوناني بقبول البنود الأربعة أعلاه ولكنهم أصروا على ضرورة إجراء إستفتاء شعبي للروم في كريت لتقرير مصيرهم.

وفي التاسع من آذار كان الروم في تلة Ekratori يغيرون على المسلمين ويعملون فيهم القتل والتشريد. ومرة أخرى يرسل المسيو بلان إلى بلاده رسالة يوضح فيها الإعتداءات اليونانية على المسلمين في كريت وما يتعرضون له من قتل ومذابح. وما لبثت القوات الأوروبية أن أجلت عمال السفارة اليونانية في كريت وقامت بإتخاذ تدابير مشددة لمنع حرية الملاحة من وإلى كريت.

في هذه الأثناء كان الملك اليوناني يتفقد وحدات جيشه في تساليا ويعلن أن الدولة اليونانية تقف على عتبة حرب مع الدولة العثمانية

٨١- Hayat Tarih Mecmuası, İhsan Ilgar, 1969

وذلك في السابع والعشرين من آذار ١٨٩٧م كما كان الشعب اليوناني يضغط على حكومته لإعلان الحرب على العثمانيين وطردهم من كريت بأسرع وقت ممكن.

تبع ذلك هجوم قامت به الدولة اليونانية على حدود الروملي للدولة العثمانية في الثالث من نيسان ١٨٩٧م لم يسكت العثمانيون على هذا الإعتداء وأعلن السلطان عبد الحميد الحرب على اليونان فكانت الحرب العثمانية – اليونانية في نيسان ١٨٩٧م.[٨٢]

تولى السلطان عبد الحميد الحرب بنفسه وخطط لتنفيذ ضربة سريعة وخاطفة تضع الدول الكبرى التي لم تعطه المجال والفرصة لحل هذه القضية أمام الأمر الواقع.

لم يكن النزاع العسكري المباشر مع العثمانيين في مصلحة الدولة اليونانية هذه المرة. فلقد تسلم القائد الفذ أدهم باشا قيادة الفيالق العثمانية، وهو من عرف بإنتصاراته المتوالية على الجيش اليوناني، أضف إلى ذلك عنصر التحديث والتطوير في بنية الجيش العثماني الذي عهد به السلطان عبد الحميد الثاني إلى أصدقائه الألمان.[٨٣]

إستمرت الحرب ثلاثين يوماً إستطاع العثمانيون فيها حسم المعركة لصالحهم، ومني الجيش اليوناني بهزيمة نكراء بعد أن فقد معظم قواته وعتاده. وأخذ الجيش العثماني طريقه إلى أثينا بعد إنتصاره في معركة دوميقا في السابع عشر من أيار ١٨٩٧م.

إستنجدت اليونان بالدول الأوروبية لإنقاذها والحؤول دون سقوط

٨٢- Trouble in Crete and the Balkans, A Modern History by William Yale

٨٣- Muhtasar Osmanli Devleti Tarihi, www.enfal.de/otarih.htm

أثينا في أيدي العثمانيين. فأرسل القيصر نيقولا الثالث برقية تهنئة إلى السلطان عبد الحميد يستميحه فيها ألا تتقدم القوات العثمانية أكثر من ذلك في الأراضي اليونانية، وكذا فعلت بقية الدول الأوروبية التي توسطت لدى العثمانيين لإنهاء النزاع. على أثرها طلبت الحكومة اليونانية عقد الصلح مع العثمانيين الذين إضطروا لوقف القتال بعد الإنتصار، وتوقيع معاهدة هدنة عرفت بمعاهدة طنبول Tanbul التي لم تتطرأ لمسألة النزاع على كريت فبقيت دون حل أيضاً[٨٤]. والجدير بالذكر أن السلطان عبد الحميد إشترط الحصول على إقليم تساليا وعلى تعويضات حرب من اليونان لقاء وقف القتال، ولكن الدول الأوروبية تكتلت ضد هذه الشروط. ولم تسفر الحرب التي أشعلتها اليونان عن أي توسع على الأرض للدولة العثمانية، إلا أن إنتصارها كان له الأثر المعنوي الكبير في العالم الإسلامي.[٨٥]

إن الوجود العسكري الأوروبي في المياه العثمانية كانت له أهدافه المبيتة، ولولا هذا التدخل الأوروبي لعانت اليونان مصيراً سيئاً. ولكنها خرجت من طور الهزيمة العسكرية إلى الظفر بجزيرة كريت بعد هذه الحرب بفترة وجيزة، وفقد العثمانيون سيطرتهم عليها لمصلحة الطرف الخاسر والجيش المهزوم.

٨٤- Muhtasar Osmanli Devleti Tarihi. www.enfal.de/otarih.htm

٨٥- العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، د. سهيل طقوش، ص ٤٧٠ - ٤٧١

نهاية الحكم العثماني وبداية التهجير

كان عامي ١٨٩٧م و ١٨٩٨م من أسوأ الأعوام التي عاشتها كريت. كانت الطبول اليونانية تقرع أمام بيوت الأثرياء الروم في الجزيرة لتحمسهم وتستثير هممهم للحرب ضد الوجود الإسلامي العثماني فيها. وكانت فرقهم تعزف النشيد الوطني اليوناني في أزقة الجزيرة وشوارعها. لقد بدأت ساعة حسم قضية كريت والحكم العثماني فيها.

وصعّد اليونانيون لهجة أنشوداتهم التي صارت تتحدى المسلمين جهاراً، فسارت مظاهراتهم تهتف قائلة: «إذبحوا التركي، قطعوا الظالم».

كل ذلك تزامن مع إحتفالات نويل لعام ١٨٩٧م، الذي عرف يومه التالي مذابح في كل المدن والقرى الكريتية. وإعتباراً من ٢٣ كانون الثاني من عام ١٨٩٧م كانت أعمال الذبح والرمي بالرصاص قد بلغت ذروتها، وصار الدم الكريتي المسلم يسيل في الشوارع كما تسيل المياه، وغصت

الأزقة بجثث الشهداء المغدورين وفاحت منهم رائحة العفن.

وما إن إنتهت الحرب العثمانية- اليونانية مقتصرة على القليل من التعديلات الحدودية رغم الهزيمة النكراء التي مني بها الجيش اليوناني حتى عاودت الصحف اليونانية حديثها عن كريت والإستفتاء الشعبي المزمع إجراؤه فيها وعن رغبة السكان الروم بالإنضمام إلى السيادة اليونانية.

وبينما كان المسلمون في بعض القرى يحاولون التصدي بالمقاومة المسلحة لهذه الحملة المسعورة دفاعاً عن الوطن والعرض والمال، كانت قوافل التهجير قد بدأت تسير حاملة معها سكان الجزيرة المسلمين وسط صيحات وهتافات تقول:«كريت روحنا، فداؤها دماؤنا»![٨٦]

وفي ٧ أيلول ١٨٩٨م نهار الأربعاء، كانت الصحافة العالمية تتحدث عن إنتفاضة شعبية إسلامية في كانديا. وكتبت صحيفة سان جايمس البريطانية St. James Gazette أن مجموعة من المسلمين العزل قد تعرضت لإطلاق نار من الجيش البريطاني وأن البوارج الحربية البريطانية قصفت مدينة كانديا لقمع ثورة المسلمين تاركةً إياها تحت سحب من الدخان الكثيف والحرائق المشتعلة. كما أعطت حصيلة مبدئية تشير إلى مقتل ثلاثة جنود بريطانيين وست ثوار مسلمين. وفي اليوم التالي على التحديد، تغيرت لغة الجريدة ليصبح المسلمون العزل «متشددون محمديون» وأن البوارج الحربية البريطانية لا تزال تشبع المدينة قصفاً وخاصة البارجة Camper Down.[٨٧]

لقد أخذت الصحف البريطانية والعالمية قليلاً من الوقت لإعادة تنسيق

٨٦- "Girit bizim canımız idi". M. Necati Sepetçioğlu. Zaman Gazetesi, Pazar dergisi, 10/12/2001

٨٧- International Colloquium: The Final Stage of the Cretan Question

الأخبار وتنظيم الحوادث، وبهذا بدأت تتغير لهجة الحديث عن مجريات الأمور وحقائقها في كريت. وصارت الأخبار تأتي تباعاً عن قتلى الجنود البريطانيين مع أعداد كبيرة من مسيحيي الجزيرة إضافة إلى مقتل السفير البريطاني في كريت نفسه في منزله مع أعوانه ومرافقيه. كما جرى الحديث عن إعتداءات طالت المخيمات العسكرية البريطانية، محطة التلغراف، المستشفى والكاتدرائية في كانديا إضافة إلى أعمال قتل وتخريب يقوم بها الثوار المسلمون في المدينة المذكورة وهو ما عرف بإنتفاضة ٧ أيلول ١٨٩٨م. الإسلامية في كريت التي لم تهدأ لحين بروز القائد العثماني أدهم باشا الذي سمح للبريطانيين بإجلاء قتلاهم وجرحاهم من المدينة.

وتابعت الصحف البريطانية حديثها عن تقليد الحكومة البريطانية أوسمة البطولة والشجاعة لمقاتليها في النزاع الأخير ومن بينهم جراح البحرية الملكية الذي قلد وسام صليب فكتوريا وهو أعلى وسام بريطاني يتقلده طبيب جراح.[٨٨]

ثارت حفيظة الدول الكبرى وخاصة بريطانيا على الأحداث الأخيرة في كريت فأجبروا الباشا التركي على ترك منصبه في كريت وتسليم قادة الإنتفاضة المسلمين إلى السلطات البريطانية التي عمدت إلى إعدامهم شنقاً وتعليقهم على أسوار المدينة فيما تم ترحيل البعض الآخر بحراً بإتجاه السواحل المجابهة للجزيرة.[٨٩] كما أجبروا السلطان عبد الحميد على سحب الجيش العثماني من الجزيرة، فجلت القوات العثمانية مع كبار الموظفين المدنيين المسلمين. ثم ما لبث أن أعلن عن حكومة إنتقالية كريتية تحت الوصاية الأجنبية لتعطي لليونان الحق في حكم

٨٨- International Colloquium: The Final Stage of the Cretan Question

٨٩- International Colloquium: The Final Stage of the Cretan Question

الجزيرة.[٩٠]

لقد أضحت كريت فعلياً تحت الحكم اليوناني مع الحفاظ بالتبعية الإسمية للعثمانيين وهو ما سيتم تفصيله لاحقاً.

وبهذا يكون السلطان عبد الحميد الثاني قد خسر من جديد واحدة من ممتلكات سلطنته بعدما فشل في سحق الثورات المتتالية ومنع الأوروبيين من التدخل في شؤونه الداخلية. لقد سقطت كريت!!!

٩٠- Trouble in Crete and the Nalkans, A Modern History by William Yale

مراحل
إنتقال كريت إلى الحكم اليوناني

١- كريت والحرب العثمانية- اليونانية

قامت الحرب العثمانية – اليونانية الأخيرة بسبب المشاكل والقلاقل في جزيرة كريت. ولقد انتهى هذا النزاع العسكري بصلح ومعاهدة بين الطرفين إلا أن المثير للغرابة أن المسألة الكريتية غابت كلياً عن بنود هذه الإتفاقية.

وبعد توقيع معاهدة الصلح والسلام بأسبوعين تماماً، أي في ١٨ كانون أول ١٨٩٧م أعلنت الدول الغربية الكبرى خصوصية جزيرة كريت وأنه سيكون لها وضعاً إستثنائياً. وبموجب ذلك تم إقناع الحكومة اليونانية بالتخلي عن فكرة ضم كريت إليها وبقيت الجزيرة تحت الحكم العثماني ولكنها منحت إمتيازات عديدة منها الحق في تقرير المصير والتبعية

وإعطائها حكماً ذاتياً.

قبل رؤساء الحركات الإنفصالية في كريت هذا الحل على مضض، فيما وجد الحلفاء صعوبة في إحلال السلام في الجزيرة وتعيين حاكم يتولى أمورها خصوصاً وأن القوات العسكرية العثمانية كانت لا تزال مرابطة في الجزيرة.[٩١]

كما أجبروا السلطان العثماني على قبول تعيين والٍ مسيحي على كريت بعد موافقة الدول الكبرى عليه وعلى سياسته، مدة حكمه خمس سنوات. ويكون للرعايا الأتراك والمسلمين مجلس ينتخب من قبلهم يرعى شؤونهم وقضاياهم، مع العلم بأن قرارات هذا المجلس لا يسمح لها أن تكون شرعية أو قيد التنفيذ إلا عند موافقة الوالي الكريتي المسيحي عليها وإمضائه. ولا يملك السلطان العثماني الحق في التدخل في أي شأن من شؤون المجلس والولاية.

٢- أحداث عامي ١٨٩٨-١٨٩٩

وفي نيسان ١٨٩٨م إنسحب الألمان والنمساويون من التحالف الغربي المهتم بشؤون كريت وذلك بسبب التقارب الألماني – النمساوي من الدولة العثمانية فبقيت مسألة كريت بأيدي الدول الأربع الكبرى بريطانيا، فرنسا، إيطاليا وروسيا.

قام الحلفاء الأربعة بتقسيم الجزيرة إلى أربع مناطق نفوذ تتولى كل دولة رعاية القسم المتفق عليه وتكون مسؤولة عن إستتباب الأمن

٩١- Handbook for the Diplomatic History of Europe, Asia and Africa 1870-1914

والإستقرار فيه، كما تعنى بالقطاعات الخدماتية والإجتماعية والتربوية فيه، وعهد بالعاصمة خانيا إلى قوات متعددة الجنسيات من الحلفاء."[٩٢]

بموجب هذه الإتفاقية، أجبرت الدول الحليفة الأوروبية الدولة العثمانية على سحب جميع قواتها العسكرية من الجزيرة بعد حادثة ٧ أيلول ١٨٩٨م وإغلاق الثكنات والمراكز الحربية وإتهموا العساكر العثمانية بإفتعال المشاكل وإثارة النعرات الطائفية. مقابل ذلك تعهد الحلفاء بالحفاظ على أمن وسلامة الرعايا الأتراك والمسلمين في كريت وحماية ممتلكاتهم وحقوقهم كما تعهدوا بأن يقوم الوالي المسيحي الذي سيتم تعيينه وإدارته بدفع الخراج والضريبة السنوية للسلطان العثماني وتكون قيمة الضريبة مقطوعة وثابتة يتفق عليها بين الإدارتين.

حاولت الدولة العثمانية المماطلة بعملية الإنسحاب العسكري من الجزيرة بعد أن قبلت شروط الحلفاء المذلة. وبعد أقل من سنة ظهرت أمامها مشكلة أخرى، ففي ٤ تشرين أول ١٨٩٨م دخلت القوات العسكرية الحليفة إلى جزيرة كريت وحملت الدولة العثمانية مسؤولية إستمرار القلاقل والشغب فيها. وقدمت مذكرة إلى السلطان العثماني بواسطة السفير الفرنسي في الباب العالي تحتوي على الفقرات التالية:

١. تتولى القوات الحليفة مهمة الحفاظ على حقوق السلطنة العثمانية في كريت.

٢. يتم سحب ما تبقى من القوات العثمانية في الجزيرة خلال مدة أقصاها شهر.

٩٢- Handbook for the Diplomatic History of Europe, Asia and Africa 1870-1914

٣. يتم إختيار إدارة لحكم الجزيرة بناءً على استفتاء شعبي يؤخذ فيه برأي الأكثرية من السكان.

وبما أن هذه المذكرة تحمل في مضمونها إهانة للدولة العثمانية وحرمانها من القلة القليلة المتبقية لها من حقوق وامتيازات في كريت، فإن السلطان عبد الحميد الثاني أنكر المذكرة ورفض استلامها وردها بالتالي مع السفير الفرنسي إلى جانب الدول الكبرى الحليفة. ولكنه ما لبث أن أجبر على التوقيع عليها وقبول جميع بنودها دون استثناء خاضعاً بالتالي لرغبة الدول الكبرى الأربع.[٩٣]

بدأ الجيش العثماني ينسحب من الجزيرة بتاريخ ١٩ تشرين أول ١٨٩٨م فيما كانت جيوش الدول الكبرى فرنسا، إيطاليا، روسيا وبريطانيا تحتل وتتمركز في نقاط الجيش العثماني الاستراتيجية والحيوية المخلاة. وما هي إلا أياماً قليلة حتى خلت كريت من التواجد العسكري العثماني، فإنسحب آخر جندي في الثامن والعشرين من تشرين الثاني عام ١٨٩٨م لتصبح بالتالي في قبضة الجيوش الأربعة الكبرى ولتكون فعلياً تحت حكم الحلفاء.[٩٤]

ومع أن الدول الحليفة تعهدت للعثمانيين برعاية مصالح الدولة العلية في كريت إلا أنها قامت بعيد الإنسحاب العثماني العسكري مباشرة وبناءً على التوصية الروسية بإستدعاء الأمير اليوناني يورغي لتوليته على كريت التي أعطوها حكماً ذاتياً.

ثارت ثائرة السلطان عبد الحميد الثاني واستنجد بأعوانه الألمان والنمساويين الذين اعترضوا بدورهم على سياسة الحلفاء الأربع

٩٣- www.devletarsivleri.gov.tr/yayin/osmanli/yunan/III-4

٩٤- Handbook for the Diplomatic History of Europe, Asia and Africa 1870-1914

المعادية للعثمانيين والمكافئة لليونان وهو الطرف الخاسر في الحرب الأخيرة التي نشبت بسبب النزاع على كريت.

ومع الأسف وكما جرت العادة في تلك الحقبة، فلقد رضخ الرجل المريض لإرادة الحلفاء بعد أن خسر كل ورقة رهان وضغط على المسألة الكريتية فقبل السلطان عبد الحميد الثاني قرار التعيين المجحف. ولم يلبث أن غادر الأمير يورغي إلى الجزيرة الأسيرة المسكينة وتسلم زمام الأمور في ٢١ كانون ثاني ١٨٩٨م.[٩٥]

لقد كتب السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته عن المسألة الكريتية مبدياً وجهة نظره من تدخل الأوروبيين فيها ومتوقعاً أن تقتطع من أراضي الدولة العثمانية في نهاية المطاف فقال:

«قبلت على مضض تعيين الأمير اليوناني جورج والياً على كريت ولم يكن بوسعي سوى القبول، لأن روسيا وإنكلترا إتفقتا على ترشيح هذا الأمير في هذا المنصب.

عندما تكون المصالح السياسية الروسية على كفة الميزان، يفترض أن يترك الإمبراطور ميوله الشخصية جانباً، ولكن يبدو أن مصالح روسيا السياسية إتفقت مع مصالح الرجل الذي أنقذ حياة الإمبراطور. أما فرنسا فليس لها في هذا المجال أي إتجاه معين، لكنها تسعى هي أيضاً إلى مسايرة الروس. أما النمسا وإيطاليا فهما محايدتان، وأما إنكلترا فإنها تكشف يوماً بعد يوم عن أطماعها في السواحل الجنوبية، وستطالب قريباً بهذه السواحل مكافأةً لها على موقفها الحالي.

إن إنتصارنا في تساليا ضمن لنا السيطرة على جزيرة كريت في الوقت

٩٥- www.devletarsivleri.gov.tr/yayin/osmanli/yunan/III-4

الراهن. لكن إسطنبول تبعد عنها كثيراً في حين تقع أثينا على مقربة منها، والإضطرابات التي تحدث فيها مصدرها أثينا، وحدوث إضطرابات جديدة أمر محتم. فإذا نجحوا في ضمها إلى اليونان فلا بد أن يأتي يوم يترحم فيه السكان على حكمنا.

هذه الجزيرة الجميلة التي كلفتنا الكثير من الدماء والشهداء ستقتطع منا في نهاية المطاف.»[٩٦]

بعد أن تمت عملية استلام كريت من العثمانيين وتسليمها بنجاح إلى اليونان، وبعد أن تأكد الحلفاء من أن الكرة قد أفلتت من أيدي الدولة العثمانية، بدأت أساطيلهم تحمل جيوشهم من كريت مخلية بذلك الساحة للسلطة الجديدة والحكم اليوناني الحديث. ثم ما لبث أن رفع العلم الكريتي الجديد وبدأ المسلمون يهاجرون بشكل جماعي لينخفض عددهم بشكل ملحوظ بحيث صاروا يمثلون نسبة ١/٩ من مجموع السكان في كريت مقارنة بنسبة ١/٣ عام ١٨٨١م. وبهذا رجحت كفة السكان المسيحيين الذين كانوا يطالبون بالإنضمام إلى اليونان أو ما يعرف بمبدأ ENOSIS.[٩٧]

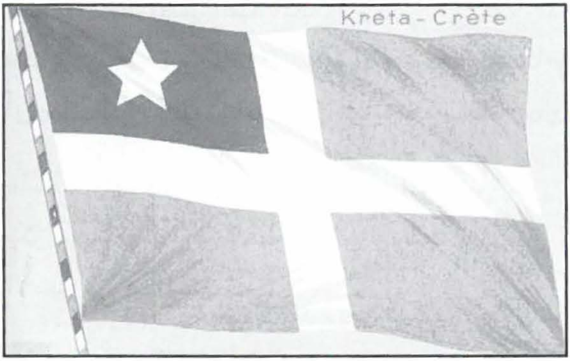

علم كريت خلال فترة الحكم الذاتي

٩٦- السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، ص ٦٤-٦٦

٩٧- Crete 1897-1908

وفي نيسان ١٨٩٩م أعلن الحقوقي والمحامي الكريتي ألفتيريوس فنيزلوس Elefterios Venizelos الدستور الكريتي الجديد الذي سرعان ما وافقت عليه السلطة الجديدة ومجلسها. نص هذا الدستور على ترسيخ السلطة اليونانية على الجزيرة بزعامة الأمير يورغي وإحاطته بمجلس إستشاري مساعد يتكون من خمسة أعضاء، أربعة منهم من اليونان الروم وواحد من الأتراك المسلمين. وهذا بالتالي يرسخ فعلياً إنفصالية كريت عن السلطنة العثمانية تماماً ويمثل إعلان جزيرة كريت وكأنها دولة مستقلة في العلن، علماً بأنها خاضعة في الحقيقة للسلطة والنفوذ السياسي والعسكري اليوناني.[٩٨]

٣- مرحلة الهدوء النسبي بين عامي ١٨٩٩-١٩٠٤م

بداية من العام ١٨٩٩م بدأت الأمور تسير نحو الهدوء النسبي بعد تهجير المسلمين وتحقيق الأكثرية السكانية لمسيحيي الجزيرة الذين كانوا لا يزالون قلقين من تبعيتهم الإسمية للدولة العثمانية. فبينما كان بعضهم ينادي بالإستقلال التام لكريت، كانت الأكثرية تطالب بالإنضمام إلى اليونان بينما بقيت قلة قليلة من المسلمين يعارضون الحكم الجديد ويتهمونه بالتبعية الخارجية وعدم الكفاءة والتقصير والإهمال.

وفي العام ١٩٠١م أعلن الأمير اليوناني يورغي علنياً عن رغبته في ضم جزيرة كريت إلى الدولة اليونانية بصورة رسمية ومطلقة، إلا أن الدول الحليفة عارضت هذا المشروع وحالت دون حصوله. وتميزت هذه

٩٨ www.devletarsivleri.gov.tr/yayin/osmanli/yunan/III-4

الحقبة بتقديم طلبات الوحدة مع اليونان إلى السلطات الأوروبية المسؤولة عن حفظ السلام في الجزيرة بشكل مستمر، ولكنها كانت تقابل بالرفض خصوصاً وأن النمسا وألمانيا كانتا تدعمان الموقف العثماني، وكان هناك توجه دولي عام بعدم إثارة المشاكل في البلقان المضطرب، فبقيت المسألة الكريتية دون طرح جدي وبحث على طاولة القرارات الدولية.[٩٩]

بقي الوضع في كريت على ما هو عليه، وإستمر الحكم الذاتي والتبعية الإسمية للدولة العثمانية برعاية الدول الأوروبية الأربع المتواجدة في المناطق المتفق عليها فيما بينهم كما سبق وأشرنا، فعملت كل دولة على تحسين الوضع الإجتماعي والبيئي والخدماتي في مناطق نفوذها. ويذكر أن بريطانيا وروسيا عمدتا إلى إستصدار طوابع بريدية خاصة بالقسم الذي يحكمانه، إضافة إلى إصلاح الطرقات والجسور وما إلى ذلك. ولقد تم العثور في أرشيف كانديا التاريخي على ملف مذكرات تتعلق بتواجد القوات الروسية في كريت بعنوان: «قنصلية الإمبراطورية الروسية في كريت». تحدثت عن دور العسكرية الروسية في قوات حفظ السلام العالمية التي تسلمت زمام الأمور في الجزيرة خلال فترة الحكم الذاتي التي إمتدت لعشر سنوات (١٨٩٩-١٩٠٩م) وحوت حوالي ألفي صفحة كتبت بالآلة الكاتبة وخط اليد. تحدثت المذكرات عن الأحداث اليومية في كريت وفعاليات العسكرية الروسية في الجزيرة وخاصة في رثيمنون، كانديا، سودا ومياه كريت، كما تناولت الحملات الإنسانية وتوزيع القمح والدقيق على عامة الشعب وترميم الطرقات في المدينة القديمة وإصلاح شبكات المياه في مدينة رثيمنون وتبني الأطفال المشردين. كما تطرقت إلى مشاعر الصداقة الحميمة والمحبة التي تولدت

٩٩- Handbook for the Diplomatic History of Europe, Asia and Africa 1870-1914

بينهم وبين السكان المحليين من مزارعين وبائعين وكهنة الأمر الذي حمل السكان على تسمية شوارعهم بأسماء بعض قادة البحرية الروسية أمثال الأميرال سكريدلوف Sckridloff والكولونيل كوروياف Coroeff وشوستاك Shostack وغيرهم. كما تناولت موضوع التنسيق بين القوات الروسية والقوات الأخرى المتواجدة في كريت من فرنسية، إيطالية وبريطانية، إضافة إلى وصف علاقات الود بين البيت الإمبراطوري الروسي والملكي اليوناني والأمير جورج، التي لعبت دوراً مهماً في حل المسألة الكريتية بشكل يتعدى المصالح الروسية في الجزيرة والمساعي الروسية بضم الجزيرة إلى الأحضان اليونانية.[١٠٠]

٤- محاولات الإنضمام إلى اليونان بين ١٩٠٤-١٩٠٦م

ثم ما لبثت أن إتسمت علاقة الأمير يورغي بالحركات الكريتية المسيحية المطالبة بالإنضمام إلى اليونان بالتوتر وعدم الإرتياح وذلك لسببن رئيسيين، إحداهما فشله بإقناع الأوروبيين بضرورة الإسراع بإعلان الوحدة مع اليونان خلال سنوات حكمه الأربع، والثاني لأنه بدا لهم وكأنه يحاول تمديد الوضع الراهن الذي إعتبروه مقلقاً ومتسماً بعدم الوضوح والإستقرار. وظهر الخلاف بينه وبين فنيزلوس بشكل واضح وعلني. وكانت الحركات المنادية بالإنضمام إلى اليونان تعتبر فنيزلوس بطلاً قومياً كريتياً وكان الأخير يرفض الحكم الذاتي بشكله الراهن وينادي بتحقيق الفكرة الكبرى ووحدة الأمة اليونانية.

وفي تموز وآب من العام ١٩٠٤م. طالب الأمير يورغي مرة أخرى

-١٠٠ International Colloquium: The Final Stage of the Cretan Question

بالإنضمام إلى اليونان تحقيقاً لرغبة من بقي في جزيرة كريت من السكان ولكن الحلفاء أجابوه في نيسان ١٩٠٥م بالرفض القاطع. هنا كثر تذمر السكان من سياسة الأمير يورغي وقاموا بعصيان مدني إمتد إلى جميع أنحاء الجزيرة فقام الحلفاء بإعادة إحتلال كريت وتمركزت قواتهم في المدن الرئيسية وأعلنت الأحكام العرفية وذلك في ٣٠ تموز ١٩٠٥م.[١٠١]

وفي تشرين ثاني ١٩٠٥م إجتمع فنيزلوس بقناصل الدول الأربع فتوقف الشغب وأجبر الأمير يورغي على الإستقالة من منصبه. فما كان من الدول الحليفة إلا أن طلبت من الملك اليوناني إختيار والٍ جديد لحكم كريت، فقام بتعيين أحد وزرائه السابقين زايميس Zaimis، مكرسين بالتالي وبشكل نهائي الرعاية اليونانية والسلطة المطلقة لها في الجزيرة المظلومة.

هكذا تحولت جزيرة كريت وبقدرة قادر إلى جزيرة يونانية مع العلم بأن الحلفاء كانوا لا يزالون يقولون بأنهم يقومون بالحفاظ عليها كجزيرة من جزر الدولة العثمانية وأرضاً تابعةً لممتلكاتها.[١٠٢]

٥- الثورة العثمانية في إسطنبول عام ١٩٠٨م

في أيار ١٩٠٨م أعلن الحلفاء عن رغبتهم بالإنسحاب من جزيرة كريت بعدما تعهد زايميس بالحفاظ على الأمن والإستقرار في الجزيرة. في

١٠١- Handbook for the Diplomatic History of Europe, Asia and Africa 1870-1914

١٠٢- www.devletarsivleri.gov.tr/yayin/osmanli/yunan/III-4

١٠٣- Handbook for the Diplomatic History of Europe, Asia and Africa 1870-1914

هذه الأثناء وتحديداً في تموز ١٩٠٨م كانت ثورة تركيا الفتاة تشتد في العاصمة العثمانية، إسطنبول، وكان البلقان يشهد حركات إنفصالية قوية في وقت كانت العاصمة منشغلة بتسوية أمورها الداخلية.[١٠٤]

غادر زايميس الجزيرة بصورة مؤقتة في الثالث من تشرين الأول ١٩٠٨م فإستغل المجلس الكريتي الفرصة وأعلن في ٥ تشرين أول ١٩٠٨م انضواء الجزيرة تحت حكم اليونان وانفصالها الرسمي القاطع والتام عن الدولة العلية العثمانية، كما تم تعيين لجنة مؤقتة لإدارة أمور الجزيرة لحين إنضمامها التام إلى اليونان وترأس فنيزلوس إدارة هذه اللجنة.[١٠٥]

رفض العثمانيون هذا القرار واحتجوا لدى الدول الحليفة التي سارعت إلى شجب القرار ظاهرياً والوقوف إلى جانب العثمانيين. لم يكن الحلفاء يرغبون بفتح جبهة جديدة خصوصاً مع تفاقم أزمات مشابهة في البوسنة والهرسك وبلغاريا، لكنهم وفي الوقت نفسه أصروا على رغبتهم بسحب ما تبقى من جنودهم في ثكنات كريت. وبما أن هذا الإنسحاب العسكري التام يجعل كريت واقعياً تحت السيطرة اليونانية الكاملة، فإن السلطان العثماني أرسل بمذكرتين إلى الحلفاء إنكلترا، فرنسا، إيطاليا وروسيا مطالباً بالإبقاء على التواجد العسكري الحليف في الجزيرة.

كالعادة، أدار الحلفاء ظهرهم للتوسلات العثمانية وبدؤوا بسحب جيوشهم فجلا آخر جندي حليف عن الجزيرة نهار الثلاثاء في ٢٧ تموز ١٩٠٩م وتم الإبقاء على العلم العثماني مرفرفاً في ميناء الجزيرة وعلى

١٠٤- Crete 1897-1908

١٠٥- www.devletarsivleri.gov.tr/yayin/osmanli/yunan/III-4

عدة بوارج حربية كصورة للحكم العثماني على كريت!!! وفي نفس هذا اليوم الثلاثاء رفع العلم اليوناني على أسوار قلعة خانيا فإرتفعت أصوات الإستنكار من الدولة العثمانية واتخذ الوضع الجديد صورة أزمة عثمانية – يونانية جديدة."[١٠٥]

ضغطت الدول الكبرى على العثمانيين مانعة إياهم من تضخيم الموضوع وترك الأمور تسير على مجراها متعهدة بحل النزاع لاحقا لصالح الدولة العثمانية.

عاودت الدولة العثمانية تذكير الحلفاء بوعودهم فيما يتعلق بمسألة كريت. فأرسل السلطان العثماني محمد رشاد مذكرة إليهم في ٣ تشرين ثاني ١٩٠٩م مطالباً بإنهاء مشكلة كريت وإعادتها للحكم العثماني. كان رد الحلفاء أن الوقت لم يحن بعد وطالبوا بإعطائهم مزيداً من الوقت[١٠٦]. وبهذا الشكل العقيم إستمرت السلطة الصورية للدولة العثمانية على كريت إلى العام ١٩١٢م حيث برز المحامي آلوثيريوس فنيزلوس من جديد، وقد صار زعيماً لحزب «كريت الحرة»، فقاد حملة سياسية ناجحة ضد التبعية الإسمية للعثمانيين، ألحقت الجزيرة على أثرها رسمياً بالدولة اليونانية بإعتراف الحلفاء وتكريسهم شرعية الحكم اليوناني عليها[١٠٧]. وهكذا انتهى النزاع لصالح الدولة اليونانية باقتطاع أرض أخرى من ممتلكات الدولة العثمانية المحتضرة.

١٠٦- www.devletarsivleri.gov.tr/yayin/osmanli/yunan/III-4

١٠٧- Trouble in Crete and the Balkans, A Modern History by William Yale

آلوثيريوس فنيزلوس

(١٨٦٤م - ١٩٣٦ م)

آلوثيريوس فنيزلوس

ولد ألفتيريوس أو آلوثيريوس فنيزلوس في خانيا - كريت عام ١٨٦٤م ودرس الحقوق والمحاماة. قام بتنظيم الحركات العصيانية الإنفصالية التي كانت تنادي بضم كريت إلى اليونان. وفي العام ١٨٩٨م وبعد نجاحه في إسقاط الأمير جاورجيوس الذي كان يتزعم شرطة كريت، تولى منصب مساعد الضابط الأكبر في الجزيرة.

وفي العام ١٩١٠م تولى منصباً

وزارياً في الحكومة العسكرية اليونانية، ونجح بتنظيم مجلس وحدة مع الصرب، بلغاريا والجبل الأسود. قام بشن حرب على الأتراك واستطاع إلحاق جزيرة كريت إلى اليونان بشكل قاطع ونهائي عام ١٩١٣م.

ومن شدة خوفه من خسارة الأراضي التي إقتطعها من العثمانيين، فضل فنيزلوس البقاء على الحياد في الحرب العالمية الأولى. وعندما أعطته الدول الحليفة العهد بالحفاظ على مكتسباته شرط السماح لها بإرسال قواتها إلى تشناك قلعة Çanakkale، علم الملك قسطنطينوس وأجبره على الإستقالة من منصبه عام ١٩١٥م ولكنه ما لبث أن عاد إلى السلطة إثر فوزه بالإنتخابات في نفس العام. ولكن إصراره على الدخول في الحرب لمساندة حلفائه الصرب كان سبباً لإجباره على الإستقالة من منصبه مجدداً وللمرة الثانية. وفي العام ١٩١٦م أعلن حكومة المعارضة من مدينة سلانيك ولم يستطع العودة إلى اليونان إلا بعد تخلي قسطنطينوس عن العرش عام ١٩١٧م.

بعد الحرب العالمية الأولى ومعاهدة سيفر لم يستطع فنيزلوس أن يحقق حلمه الذي ناضل من أجله (الفكرة الكبرى – Megali idea) والتي كانت تنادي بوحدة جميع اليونانيين، فقام عام ١٩٢٠م بشن حرب على تركيا بمساندة القوات الإنكليزية.

فاز في إنتخابات الوحدة الوطنية اليونانية عام ١٩٢٨م وحاول أن يمارس سياسة سلام مع الجمهورية التركية الحديثة، ولكن الأوضاع الإقتصادية المتردية في اليونان وعدم نجاحه في إرساء الإستقرار أجبراه على الإستقالة من مهامه عام ١٩٣٣م.

وفي العام ١٩٣٥م أعلن استقلال جزيرة كريت وانفصالها عن

الجمهورية اليونانية مما زاد من سوء علاقته مع الحكومة اليونانية فهرب إلى باريس بعد فشل هذه المناورة وسيطرة اليونان على الوضع والحكم الذي صدر في حقه غيابياً بالموت. مات في باريس عام ١٩٣٦م عن عمر يناهز الثانية والسبعين قضى معظمها في المكائد والدسائس المحلية والعالمية[١٠٨].

١٠٨- www.kimkimdir.gen.tr/eleutherios_venizelos/index.html

الفكرة الكبرى Megali Idea

إن سبب العلاقات التركية- اليونانية المتوترة حتى أيامنا هذه يعود إلى جذور تاريخية وأشكال السياسة اليونانية القديمة ضد الإمبراطورية العثمانية.

فمنذ إعلان قيام الدولة اليونانية ظهرت دعوة إلى إعادة إحياء الإمبراطورية البيزنطية تحت قيادة النزعة الهيلانية الإغريقية وهو ما عرف بالفكرة الكبرى أو العظيمة Megali Idea [١٠٩].

وعلى أسس هذه العقيدة الحديثة، ظهرت جمعيات عديدة تعمل لتحقيق الفكرة الكبرى وتناضل من أجلها. نذكر منها جمعية أصدقاء إلهة الفن والجمال التي تأسست في بوكرش Bükreş عام ١٨١٠م، جمعية الفندق اليوناني - باريس ١٨١٣م وجمعية فيليكي أتيريا Filiki Eterya أي «الجمعية الأخوية»- أوديسا أواخر العام ١٨١٤م. [١١٠]

١٠٩- «كريد» آرتين أمادوريان ومخدوملرى مطبعه سنده طبع أولنمشدر، ص ٦-٧

١١٠- العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، د. سهيل طقوش، ص ٣٢٩

نذكر أهداف الجمعية الأخيرة علماً أنها لا تختلف كثيراً من حيث الجوهر عن ميثاق سابقتيها وهي:

١. السعي إلى تحقيق الإستقلال التام للملة اليونانية.
٢. ضم سلانيك وتراقيا الغربية إلى اليونان.
٣. ضم جزر بحر إيجة إلى اليونان.
٤. ضم الجزر الإثنا عشر إلى اليونان.
٥. ضم جزيرة كريت إلى اليونان.
٦. الإستيلاء على غرب الأناضول وضمه إلى اليونان.
٧. إنشاء الحكومة الرومية اليونانية.
٨. ضم جزيرة قبرص إلى اليونان.
٩. ضم جزيرتي إمروز وبوزجا إلى اليونان.
١٠. إعادة إحياء الإمبراطورية الرومانية الشرقية وضرورة إحتلال اسطنبول من أجل ذلك.

لقد تحولت هذه الأفكار إلى هلوسة نفسية سيطرت على مشاعر اليونانيين بحيث صاروا يذكرونها في جميع مناسباتهم وإحتفالاتهم. وفي نيسان من العام ١٨٩٦م جُدِّدَ لها التأييد من قبل أتباع Etniki Eterya وأعلنت وثيقة باليونانية من دون إمضاء نذكرمنها ما يلي:

١. الأتراك هم أعداؤنا الأزليون إلى الأبد.
٢. لم يحقق إستقلال الجمهورية اليونانية الحالية مكاسب كبيرة لأن جزءاً كبيراً من أراضينا لايزال تحت الإحتلال العثماني. إن إنتزاع هذه الأراضي من أيدي الأتراك هو واجب مقدس.

٣. يجب تحقيق مبادئ الفكرة الكبرى ولو باللجوء إلى القوة والحرب.
٤. يجب مراعاة السرية التامة في كافة تحركاتنا وتوجهاتنا.
٥. يجب توحيد جميع أتباع الملة اليونانية تحت لواء الفكرة الكبرى.
٦. سيتم إستخدام جميع الوسائل الممكنة لتحقيق الفكرة الكبرى.
٧. سيتم تسليح شعب الروم اليوناني لمقاومة الإحتلال التركي.
٨. سيتم ملاحقة الوجود التركي والقضاء عليه في جميع أراضينا المحررة.
٩. ستعتمد اليونان على نفسها في سبيل تحقيق أهدافها دون إنتظار المعونة من الخارج.

وما إلى ذلك من بنود أخرى تشرح سبل الحصول على المال والضغط على السلطات الرسمية والحكومية اليونانية للوصول إلى أهداف القومية الهيلانية والفكرة الكبرى"[١١١].

١١١- www.turkatak.gen.tr/yunan/yunanistan_ve_teror.htm

الإهتمام الأوروبي بجزيرة كريت

مـع بـدايـة الـقـرن الـثـامـن عشر، بـدأت كـريـت تستحـوذ عـلـى إهـتـمـامـات الإستعماريين الأوروبيين. ففي العام ١٨٠٦م، كانت تراود نابليون فكرة إقتسام الأراضي العثمانية بين فرنسا، النمسا وروسيا، وكانت كريت تدخل ضمن الحصة التي أرادها لنفسه. إلا أن هذا المخطط لم يكتب له النجاح. ومع حرب القرم في العام ١٨٥٣م إقترح نيقولا الأول الروسي على السفير البريطاني في بطرسبورغ أن تحتل بريطانيا مصر وكريت لضمان حرية وسلامة سفنها التجارية الذاهبة إلى الهند عبر البحر الأبيض المتوسط."[١١٢]

وبـعـد إستقلال اليونان وتزعمها الحركة الهيلانية، علت صيحات الإنضمام إليها كوطن أم من مسيحيي كريت، وكان هذا جزء من التحركات السياسية اليونانية التي كانت لا تهدف إلى بسط سيطرتها على كريت وحسب وإنما على باقي الجزر في بحر إيجة وآسيا الصغرى.

١١٢- Trouble in Crete and the Balkans, A Modern History by William Yale

وهذا ما يجعل العلاقات التركية – اليونانية تتسم بطابع العداء منذ ذلك الوقت وحتى أيامنا الراهنة. وبسبب موقع الجزيرة المهم وإرتباطها آنذاك بمصير الدولة العثمانية، فإن اليونان لم تكن تستطيع الإنفراد بالتحكم في مجريات الأمور وإنما كانت تحركاتها تأتي من ضمن التحالفات الغربية الموجودة آنذاك.

ولا يمكن إغفال موقع كريت الجغرافي والإستراتيجي، وحيويتها بالنسبة لمن يبتغي لنفسه القوة. ويظهر ذلك جلياً في الحرب العالمية الثانية وتحديداً عام ١٩٤١م عندما حاول الألمان غزو كريت وأشبعوها بغاراتهم الجوية لما عنى لهم إحتلالها من بسط نفوذ على المنطقة وتقوية عضد في الحرب.[١١٣] فكان لهم ما أرادوا وإستمرإحتلالهم لها خلال الحرب لغاية العام ١٩٤٤م.

١١٣- Trouble in Crete and the Balkans, A Modern History by William Yale

السياسة اليونانية تجاه كريت

في أول حزيران ١٩٩٩م نشرت صحيفة Le Figaro الفرنسية مقالاً بعنوان: اليونان أكثر دول المنطقة عرقية، قومية وتوسعية. ومن أبرز ما جاء فيه النقاط الأربع التالية:

١. إستطاعت الدولة اليونانية تحميل العثمانيين السبب في الثورات والإنتفاضات ومسؤولية الظلم الذي يحيق بالمسيحيين القاطنين في أماكن الحكم التركي.

٢. قامت اليونان بدعاية إعلامية منظمة لدى الدول الأوروبية العظمى واستفادت من نفوذها السياسي والعسكري واستخدمته ضد الوجود التركي.

٣. عملت الإدارة اليونانية على الحصول على مكاسب تفوقهم على العنصر التركي بعد كل ثورة يشعلون فتيلها وذلك بالإعتماد على

التدخل الأجنبي للدول الكبرى وما تمارسه من ضغط على العثمانيين.

٤. إستطاعت اليونان ضم مناطق كانت تثار فيها القلاقل بشكل مستمر إلى حكمها.[١١٤]

لقد ربطت الدولة اليونانية الحديثة مصيرها بجزيرة كريت، كما قامت سياستها على ترويج فكرة التهديد التركي بين أبناء شعبها وقامت بحسابات عسكرية تتعلق بهذه الفكرة. فكريت تمثل حالياً آخر خط دفاعي للجمهورية اليونانية، في حين تمثل مدينة لاريسا Larissa أول خط دفاعي عند جبهة سلانيك وتراقيا الغربية. هذه المدينة تبعد مسافة ساعتين فقط عن العاصمة أثينا، بحيث أن وزارة الدفاع اليونانية إعتمدت على مبدأ نقل العاصمة مع وزاراتها ومراكز القرار فيها إلى جزيرة كريت في حال نشوب حرب عسكرية تركية- يونانية وتعرض العاصمة للخطر. فما حصل عام ١٨٩٧م خلال الحرب العثمانية- اليونانية من تقهقر عسكري يوناني وتدخل الدول الأوروبية لمنع سقوط أثينا عندما إخترق العثمانيون خطوط الدفاع الأمامية وسيطروا على لاريسا يجعلهم يعيشون هاجس هذا الأمر ويعدون العدة لتفادي حصوله. وبهذا يظهر جلياً مدى أهمية كريت إستراتيجياً بالنسبة للدولة اليونانية الحديثة ويفسر سبب النضال الطويل الذي خاضته أثينا لإنتزاع كريت من الدولة العثمانية"[١١٥].

١١٤- www.turkatak.gen.tr/yunan/yunanistan_ve_teror.htm

١١٥- INAL Haber bülteni. Yunanistanın başağrısı

خصائص سكان كريت

لقد تميز شعب كريت بالصلابة والعناد، وكانت طبيعته المتعنتة الشرسة تربة خصبة للمشاكل والفتن التي قادته إلى التطاحن والإقتتال فيما بينه من جهة ومع الأغراب من جهة أخرى. كما لا يمكن أن نغفل التحولات الدينية والمذهبية الكثيرة التي ظهرت بين سكان الجزيرة إبان الإحتلالات المتكررة من قوى مختلفة كما سبق وأشرنا. فكان التحول من المسيحية إلى الإسلام عام ٨٢٣م بعد السيطرة العربية، ثم الرجوع إلى الديانة المسيحية والكنيسة الأورثوذوكسية الشرقية عام ٩٦١م مع القائد فوكاس، ثم سيطرة البنادقة وما نتج عنه من إضطهاد للأورثوذوكسيين وتحولات مذهبية إلى الكنيسة الغربية مع حملات تهجير واسعة للمضطهدين إلى الشواطئ المقابلة لكريت.

ثم أتت الحملات العثمانية بالدين الإسلامي مرة أخرى مع السلطان إبراهيم الأول عام ١٦٤٥م وتزايد عدد المسلمين بشكل ملحوظ. ومع

السيطرة العثمانية وعلى غرار ما حصل في البلقان، فلقد تحول كثير من أبناء الطبقة الحاكمة والمخملية و الأغنياء إلى الديانة الإسلامية إما حباً بالدين الجديد أو للإستفادة من إمتيازات المسلمين وخصائصهم في ظل الحكم العثماني. وتشير إحصائيات العام ١٨٢١م أن عدد سكان كريت كان ٢٩٠,٠٠٠ نسمة تقريباً، ١٦٠,٠٠٠ مسلماً و١٣٠,٠٠٠ مسيحياً، مما يعني أن المسلمين أصبحوا يشكلون الأغلبية السكانية في الجزيرة خلال سيطرة العثمانيين عليها.[١١٦]

كما ظهرت طبقة جديدة من السكان الكريتيين المسلمين الناطقين باللغة اليونانية. وكان هؤلاء أصحاب الأراضي والممتلكات الشاسعة، من الحكوميين والعلماء وأصحاب النفوذ، بينما بقي مسيحيو كريت الناطقين أيضاً باليونانية يمثلون عامة الشعب من مزارعين وعمال وبحارة وغيرها. لقد كانت السلطة الفعلية آنذاك بيد الأسياد المسلمين الكريتيين مدعومين من قبل فرق الإنكشارية، حتى أن سلطة الوالي العثماني تكاد تكون معدومة. كان للإنكشاريين ممارسات خاطئة بحق كل أبناء الشعب، ونال المسيحيون قسطاً وفيراً من هذا الظلم الأمر الذي دفعهم للقيام بثورات متتالية كانت تلاقي الدعم والترحيب من الدولة اليونانية التي كانت تظهر وكأنها الأم الحنون للمسيحيين المقهورين في كريت. لم يكن العثمانيون غافلين عن ممارسات الإنكشارية الجائرة التي نالت من السلاطين قبل نيلها من الشعب، فكاد لهم السلطان محمود الثاني وقتل كبار قوادهم في إسطنبول، وسار عثمان باشا والي كريت آنذاك على مسار سلطانه فقام بدعوة قوادهم ومن يدعمون من الأسياد المسلمين المحليين وقام بقتلهم وسحقهم مستعيناً بالفرق

١١٦- Trouble in Crete and the Balkans, A Modern History by William Yale

الألبانية من الجيش العثماني[١١٧]. لاقى هذا العمل إستحسان المسيحيين وقربهم من السلطان العثماني ولكن المكائد اليونانية كانت تعمل في الخفاء مع مواليها فظهرت الثورات وحركات التمرد المسيحية وما نتج عنها من مذابح ومجازر متبادلة بين المسلمين والمسيحيين إلى أواخر العهد العثماني الذي إنتهى بتهجير كامل للمسلمين.

١١٧- Trouble in Crete and the Balkans, A Modern History by William Yale

من هم المهاجرون؟

تابع السلاجقة والعثمانيون الفتوحات الإسلامية فأسلمت شعوب وتتركت مناطق عديدة بفضل تلك الفتوحات. ولقد ذهبت الأمور أبعد من ذلك عندما إعتمد العثمانيون بشكل كبير على من أسلم أو تترك من أهالي المدن المفتوحة. ونذكر القائد الغازي أفرانوس باشا Evranos Paşa الذي كان في الأصل رومياً وصار من قادة الجيش العثماني. وكان تتريك البوسنة والهرسك إضافة إلى الأرناؤوط وغيرهم، ليظهر نموذج فريد من نوعه وهو أن العثمانيين لم يطمسوا على معالم حضارات هذه الشعوب ولغتهم، فتعلم السكان اللغة التركية إضافة إلى لغتهم الأم وإعتنقوا الدين الإسلامي طوعاً وبشكل جماعي. وعلى نفس المنوال جرت الأمور في شرق البحر الأسود، مورا، تساليا وجزيرة كريت، فتكلم السكان اللغة الرومية اليونانية وتعلموا التركية. أضف إلى هذه الأمثلة من الشعوب التي تتركت وأسلمت الكرجيون (الأجريين) Gürcüler، الموهديون (اللاز) Lazlar، الروم البلقانيون، السلاف والمقدونيون.

تميزت كل هذه الشعوب بالحفاظ على عاداتها وتقاليدها إضافة إلى توارثها اللغة الأم دون تغيير، مع الإنصهار الكامل والتام بالحضارة العثمانية، اللغة التركية والدين الإسلامي.

ولما إعترى الدولة العثمانية الضعف، قلّ تأثيرها على أقاليمها ورعاياها، فتبلورت معالم جديدة لهؤلاء الأقوام الذين دانوا بالإسلام وتكلموا لغتهم الأم مع جهلهم التام باللغتين العربية والتركية وإختلاف أعراقهم وأجناسهم عن الأتراك العثمانيين.[١١٨]

وبعدما توقف المد العثماني في أوروبا إبتداءً من القرن السابع عشر، بدأت مرحلة الإنحسار وإقتطاع الأراضي مع بداية القرن الثامن عشر الميلادي. هنا كان لا بد من حركة تهجيرية لهؤلاء المسلمين من الأراضي التي فقدها العثمانيون إلى أراض عثمانية أخرى. وفي القرن التاسع عشر، وصلت خسارة الأراضي العثمانية ذروتها ليشهد التاريخ سلسلة من أوسع حركات التهجير الإسلامي من مختلف الأعراق والجنسيات وما تبعه من أزمات بيئية ومشكلات إجتماعية، إقتصادية وصحية.

لقد كانت أول حملة تهجيرية عام ١٧٧٤م بعد الحرب العثمانية- الروسية، تبعتها الثانية خلال الحرب العثمانية- الروسية- النمساوية بين عامي ١٧٨٨م و ١٧٩٢م وحروب القرم التي إمتدت إلى العام ١٨٠٠م. فبلغ عدد المهجرين المسلمين من بلاد القفقاس بين ٣٠٠- ٥٠٠ ألف نسمة تقريباً.

١١٨- "Trabzon Şehrinin islamlasması ve türkleşmesi 1461-1583" Boğaziçi Üniversitesi yayınları, İstambul 1998, 190 s. ISBN 975-518-116-4- Izzet Akyol

وبعد معاهدة أدرنة[119] بين العثمانيين والروس، كانت هناك هجرة أخرى في ١٨٢٨–١٨٢٩م، ثم هجرة تتار القرم في ١٨٧٧–١٨٧٨م ولكن تبقى الحقبة بين عامي ١٨٩٢ و١٩٠٢م مميزة بأنها شهدت أكثر وأكبر الحملات التهجيرية على الإطلاق، وهي الفترة الزمنية التي هاجر فيها الكريتيون المسلمون الناطقون باللغة اليونانية إلى تركيا الحالية وبلاد الشام وغيرها من أراضي الدولة العثمانية آنذاك.

وأخيراً، إندلعت حرب البلقان عام ١٩١٢م، وظهرت الدولة العثمانية عاجزة هذه المرة عن إحتواء المهاجرين الجدد، ولم تستطع اللجان العثمانية التي شكلت سابقاً لتأمين الغذاء والدواء والأرض والمسكن للمهاجرين المسلمين من حل المعضلة الأخيرة فظهرت الكوارث والنكبات على جميع الصعد."[120]

إزداد الوضع تعقيداً عند إنهيار الدولة العلية العثمانية التي إضطرت في نهاية المطاف إلى توقيع الإتفاقيات ومعاهدات المبادلة كما سميت آنذاك بين العثمانيين المهزومين ودول الجوار الظافرة. فكانت أول معاهدة من هذا القبيل مع الجانب البلغاري بعيد حرب البلقان وهو ما عرف بإتفاقية إسطنبول التي أعطت الفرصة لأول مبادلة سكانية إختيارية بين الجانبين. وفي ٢٣ كانون الثاني ١٩٢٣م تطرقت معاهدة لوزان إلى مبادلة سكانية بين المسلمين في اليونان والروم في تركيا، فهاجر ٤٠٠ ألف مسلم إلى تركيا وحوالي المليون من الروم إلى اليونان مما أرهق الدولتين التركية واليونانية في إحتواء هذه الأعداد الضخمة ومتطلباتها الصحية، الإجتماعية والإقتصادية."[121]

١١٩– المعروفة أيضاً بمعاهدة Adrianople

١٢٠– "Trabzon Şehrinin islamlasması ve türkleşmesi 1461-1583" Boğaziçi Üniversitesi yayınları, İstambul 1998, 190 s. ISBN 975-518-116-4- Izzet Akyol

١٢١– "Trabzon Şehrinin islamlasması ve türkleşmesi 1461-1583" Boğaziçi Üniversitesi yayınları, İstambul 1998, 190 s. ISBN 975-518-116-4- Izzet Akyol

إن هجرة المسلمين من كريت وتساليا تمت قبل البدء بمعاهدات المبادلة السكانية بين اليونان وتركيا، فتم نقل أتراك ومسلمي كريت الروم الجاهلين تماماً باللغة التركية إلى أراضي الدولة العثمانية وتحديداً إلى الشواطئ المطلة على حوض البحر الأبيض المتوسط بصورة عامة من دون أن تكون هناك هجرة أقليات غير تركية أو مسيحية من الأراضي العثمانية إلى اليونان. لقد غادرت هذه الأقليات التي تكلمت اللغة التركية ونسيت لغتها الأم بفعل إنصهارها مع الأتراك وعيشها بينهم إلى اليونان بعد قيام الجمهورية التركية وتوقيع معاهدات المبادلة كما سبق وأشرنا. وهكذا نرى ما تعرضت له هذه الشعوب المهاجرة من كلا الطرفين لأذى مادي، إجتماعي وعرقي أخذ منها سنوات طوال لتتأقلم مع وضعها الجديد في أرض غريبة مع أقوام مختلفة.

وهنا يمكن القول بوضوح أن مهاجري جزيرة كريت الذين قدموا إلى بلاد الشام وتحديداً إلى لبنان وسوريا هم من الروم الناطقين باللغة اليونانية، الجاهلين تماماً باللغة التركية وعادات الأتراك وتقاليدهم، المعتنقين للدين الإسلامي بالإضافة إلى الأتراك الذين سكنوا الجزيرة بعد الفتح العثماني لها. لقد تم تهجيرهم بناءً على إعتبارات دينية بحتة دون النظر إلى أعراقهم ولغاتهم لتطهير أوروبا من الوجود الإسلامي خصوصاً والإنتماء العثماني التركي عموماً. وما حصل منذ عدة سنوات في بلاد السلاف والبوسنة والهرسك من تطهير ديني لأبناء العرق الواحد واللغة الواحدة هو حلقة أخرى من سلسلة تهجير المسلمين من أوروبا والتي بدأت بتشريد مسلمي كريت وقتلهم وإبادتهم في نهاية القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين أيام إنهيار وتفتت الدولة العثمانية.[١٢٢]

١٢٢- "Trabzon Şehrinin islamlasması ve türkleşmesi 1461-1583" Boğaziçi Üniversitesi yayınları, İstambul 1998, 190 s. ISBN 975-518-116-4- Izzet Akyol

مصير المسلمين المتبقين في كريت

حتى قيام الحرب العالمية الأولى، كان للدولة العثمانية كلمة نافذة في كريت أو على الأقل تؤخذ إستشاراتها بعين الإعتبار. ولكن الأمر تبدل كلياً خلال الحرب. فلقد أجبر والي الجزيرة الجديد الأمير اليوناني ما تبقى من أبناء الكريتيين المسلمين على الإنخراط في التجنيد الإجباري وأرسلهم إلى الصفوف الأمامية للجبهة في سلانيك لدعم جيوش الحلفاء فرنسا وبريطانيا في حربها ضد الجيشين الحليفين العثماني والألماني. وصدرت الأوامر بمهاجمة العثمانيين ولكن لم يستجب الكريتيون. لقد كان عددهم قرابة الألفين، محاصرين من ورائهم وجنبيهم بالمدفعية اليونانية، والجيش العثماني من أمامهم. لم يكن أمامهم سوى الإنصياع للأوامر بتنفيذ الهجوم على أبناء جلدتهم وعرقهم ودينهم أو المذبحة والقتل على أيدي المدفعية اليونانية. هكذا رسم اليونانيون خطتهم! ولكن الجنود الألفين وبدون تفكير عميق أعلنوا رفضهم مهاجمة القوات العثمانية الألمانية وقبولهم بالعقوبة والقتل على أيدي اليونانيين.

فعلى الحالتين، سيؤول مصيرهم إلى الموت إما شهداء على أيدي اليونانيين وإما خونة على أيدي العثمانيين. وواجه الأبطال الإعدام رمياً بالرصاص بقلوب مطمئنة وقرار ثابت على أن يخونوا قضيتهم أو يفرّطوا في مبادئهم، وهو ما يعرف عن الكريتيين بشكل عام من صلابة وحزم وبأس.

ولا يظنن أحد أن هذه قصة من نسج الخيال ولكنها مقتبسة من مذكرات المسيو بلان Blanc الذي كان سفيراً لفرنسا في كريت عام ١٨٩٨م.[١٢٣]

لقد هُجّر من هُجّر وقتل من قتل في أحداث ما بعد ١٨٩٧م. من مسلمي كريت. ولم يكن الحظ حليفاً لمن بقي داخل الجزيرة ولم يستطع الجلاء مع المهاجرين في الوقت المناسب لسبب من الأسباب ليتم التخلص منه لاحقاً بطريقة من الطرق لتجد كريت الآن شبه خالية من الوجود الإسلامي.

١٢٣- "Girit bizim canımız idi", M. Necati Sepetçioğlu. Zaman Gazetesi. Pazar dergisi. 10/12/2001

أحوال مسيحيي كريت بعد رحيل العثمانيين

إن الكريتيين هم شعب عشق الحرية وناضل من أجلها على مر العصور. ويبدو أنه لم يوفق في الحصول على مبتغاه بعد رحيل العثمانيين. فلقد تخلص من الحكم العثماني ليقع رهينة حكم الجمهورية اليونانية. وسبق أن أشرنا إلى أن ألفتيريوس فنيزلوس أعلن إستقلال كريت عن اليونان عام ١٩٣٥م، إلا أنه طرد من الجزيرة التي بقيت تحت السيطرة اليونانية. وفي أعقاب هزيمة الألمان في الحرب العالمية الثانية، وتحديداً في ١٢-١٤ تشرين الثاني من عام ١٩٤٤م كانت الحركات الكريتية المسلحة المناهضة للألمان تستعد لإعلان إستقلال كريت لولا تدخل القوات البريطانية المسلحة لتعيد الجزيرة إلى حكم اليونان.

وفي العام ١٩٧٠م كان الأب ميخائيل داماناكي Mihalis Damanakis المعروف لدى الشرطة اليونانية بالأب الأحمر يجوب مدن وقرى كريت محرضاً شعبها على العصيان والتمرد في وجه الحكم اليوناني وإعلان

الإستقلال. فجأة إختفى داماناكي الذي يرجح بأنه قتل على أيدي جهاز الإستخبارات اليوناني الذي قضى على حركته قبل نضوجها.[124]

ولوحظ ظهور بعض الحركات التي تنادي بإستقلال كريت عن اليونان بعد المداخلة العسكرية التركية في جزيرة قبرص عام ١٩٧٤م كان من أهمها حركة قادها المسؤول عن الفرقة العسكرية الثانية للجيش اليوناني الموجود في كريت مع بعض الضباط الكريتيين الذين قاموا بالتحضير لإنقلاب عسكري داخل الجزيرة. وخلال عملية التحضير قام أحد الضباط بوشايته إلى العاصمة أثينا التي عمدت إلى نفيه مع أعوانه إلى الحدود التركية اليونانية ثم ما لبثت أن أحالتهم جميعاً إلى التقاعد.[125]

وفي ٢٤ تشرين أول من العام ١٩٧٤م كتبت جريدة كيريكاس Kirikas – وهي جريدة محلية في كريت، مقالاً عنونته على الشكل التالي: «من الأفضل لنا حكماً أجنبياً وتبعيةً لدولة أخرى على التبعية اليونانية التي لم تبق لنا كرامة ولا عادات أو وجود.»

ولقد جاء في المقالة ما يلي: «قبل أن يغادر الشباب الكريتي وطنه ودياره بحثاً عن قوته ورزقه في أماكن أخرى، عليه أن يعلم جيداً أن نظاماً محكماً أخذ على نفسه إلغاء كريت والشعب الذي يعيش فيها. علينا ككريتيين أن نأخذ حذرنا لئلا نهبط إلى مستوى المستعمرين من قبل الدولة اليونانية التي تسعى إلى ذلك. لقد إرتكب فنيزلوس خطأً فادحاً عام ١٩١٠م عندما تبنى شعار (توحيد شعبين مختلفين تحت لواء واحد)، وقد يشعر الكريتيون بألم فقدان الهوية والشخصية في يوم

١٢٤- Girit halkı yunanistana karşı özgürlüğünü istiyor. Şubat 1998

١٢٥- INAF Haber bülteni. Yunanistanın başağrısı

من الأيام ولكن بعد فوات الأوان.»

وفي العام ١٩٧٦م قام أربعة نشطاء في (حركة تحرير كريت – Cretan Liberation Committee) بإختطاف طائرة ركاب في الولايات المتحدة الأمريكية على خط نيويورك – دالاس، وإحتجزوا الركاب لثلاثة أيام. يومها أعلن السفير اليوناني في أمريكا بأن الكريتيين الأربعة ليسوا سوى مطلوبين من قبل الشرطة اليونانية لإرتكابهم أعمالاً غير قانونية وأنهم يعانون من أمراض نفسية وعقلية مزمنة. كما طالب بتسليمهم كرعايا يونانيين إلى الحكومة اليونانية لمحاكمتهم. على أثرها، قام البروفسور هوبرت Prof. Hubert بمعاينتهم في مستشفى دالاس للأمراض العصبية، وتبين له أنهم يدركون ما يفعلون تماماً وأنهم يتمتعون بكامل قواهم العقلية والجسدية، وأن غايتهم من الإختطاف كانت إسماع العالم بقضيتهم التي تنادي بإستقلال كريت عن الحكم اليوناني.[١٢٦]

وفي العام ١٩٧٧م أعلنت الدولة اليونانية عن عزمها القيام بمعرض عن «حضارة إيجة اليونانية» في الولايات المتحدة الأمريكية. وثارت ثورة أبناء كريت ونزلوا إلى الشوارع في مظاهرات حاشدة عندما حاولت الحكومة اليونانية نقل بعض الآثار التاريخية من متحف كريت، معارضين المساس بأي أثر من آثار جزيرتهم أو نقله مؤقتاً إلى أي مكان.[١٢٧]

أما في تاريخنا المعاصر، فلقد نزل ثلاثون ألف كريتي إلى الشوارع عام ١٩٨٩م منددين بقرار اليونان إعطاء الولايات المتحدة الأمريكية الحق

١٢٦- Girit halkı yunanistana karşı özgürlüğünü istiyor. Şubat 1998

١٢٧- INAF Haber bülteni. Yunanistanın başağrısı

بإنشاء قواعد جوية في كريت، فقاموا بإحتلال المكاتب الحكومية واصطدموا مع الشرطة المحلية التي عجزت عن إحتواء المتظاهرين، الأمر الذي إضطر الحكومة اليونانية إلى إرسال قوات تدخل عسكرية محمولة جواً من أثينا وسلانيك لقمع ما إعتبر آنذاك بحملة تمردية، وهو ما إعتاد الكريتيون على فعله ضد أي قرار حكومي يوناني يخص جزيرتهم.

لقد قامت حركة تحرير كريت بكتابة رسالة إلى وزارات خارجية الدول الكبرى والصحافة العالمية تعلن فيها أنها قررت العمل المسلح ضد الدولة اليونانية التي تعامل الكريتيين معاملة مواطنين من الدرجة الثانية، وأنها فشلت بحل هذه المشكلة دبلوماسياً وبالطرق الديموقراطية، وأنها تطالب الأصدقاء والمتعاطفين مع هذه القضية بمد يد المساعدة والعون. ولكن الجدير بالذكر أن الرسالة لم تؤخذ على محمل الجد إلا أنها وجهت أنظار الصحافة إلى أعمال العنف والتخريب التي جرت في كريت بعد ذلك.

ولا تزال الجزيرة مسرحاً لعمليات عنف وتجارة أسلحة مهربة من الأرناؤوط وإسبانيا إضافة إلى عمليات السطو التي تتعرض لها مراكز الشرطة المحلية من حين إلى آخر والإستيلاء على أسلحتهم وذخيرتهم مما يقض مضجع الحكومة اليونانية ويقلقها. وعلى الرغم من التعتيم الإعلامي لمثل هذه الحوادث، إلا أن المعلومات كانت تتسرب. فلقد كتبت جريدة ألفتروتيبيا Eleftrotipia في أثينا عدة مرات عن الحوادث التي تجري في كريت. وفي تقرير عن حركات كريت الإنفصالية وصف بأنه بالغ السرية كتب جهاز الإستخبارات اليونانية أن حركة تحرير كريت لم تقم بعد بأي عمل إرهابي أو دموي، ولكنها تسعى عبر المتعاطفين

معها في العالم على كسب الدعم المادي والمعنوي. ولقد نجحت في كسب ود بعض الدول مثل إيطاليا، اليابان، إسرائيل، البرازيل وليبيا.

إنها حركة تحرير كريت كما تسمي نفسها، هي التي تتبنى هذه الأعمال وتقول: «اليونان، إرفعي يدك عن كريت!»[١٢٨]

ومؤخراً، ودعت اليونان عام ١٩٩٨م بأصوات المتظاهرين الكريتيين المنددين بقرار الحكومة اليونانية إنشاء قواعد صواريخ S-300 في القسم الجنوبي من جزيرة كريت. وصرح رئيس بلدية Lefki السيد يانيس دراكاكي Yannis Drakakis بأن الحكومة اليونانية غدرت بالكريتيين وهم نيام وبأنهم لن يسكتوا إذا ما عمدت الحكومة إلى تنفيذ هذه الفكرة. ولم تسكت أصوات الإحتجاجات الكريتية إلا عندما تخلى الخبراء العسكريون اليونانيون عن الفكرة لثبوت عدم صلاحية كريت لإنشاء هذه القواعد.[١٢٩]

وبهذا تستمر كريت بأبنائها وشعبها تشكل صداعاً مؤلماً ومزمناً للحكومة اليونانية ولا يدري أحد ما يخبئه القدر لمستقبل هذه الجزيرة الجميلة وشعبها العنيد.

١٢٨- Girit halkı yunanistana karşı özgürlüğünü istiyor. Şubat 1998

١٢٩- Giritte S-300 isyanı, Radikal Gazetesi, 01/01/1999

المهاجرون في لبنان وسوريا

بعد أن حقق مسيحيو كريت مطالبهم بالحصول على إستقلال ذاتي للجزيرة ضمن السلطنة العثمانية وتحت رعايتها بدعم من الدول الأوروبية الكبرى، وبعدما جلت العساكر العثمانية بشكل كامل عنها، قاموا بحملات القتل والإبادة والإنتقام من المسلمين ومن ثم طردهم من ديارهم وأراضيهم دون وجود من يدافع عنهم ويحميهم. فلقد كانت الدولة العثمانية في حالة من الضعف الشديد، ولم يكن في مقدور الأسطول العثماني التدخل لما كان لهذا الأمر من عواقب وخيمة ووقوف الدولة العثمانية في مواجهة مع الدول الأوروبية المجتمعة وجيوشها المتطورة. ويجدر بالذكر أن الأسطول العثماني الذي ذاع صيته أيام خير الدين باشا بارباروس، إقتصر نشاطه فيما بعد شيئاً فشيئاً على خفر السواحل وتقلص عدده من ثلاثماية سفينة إلى مجرد الأربعين بشكل كامل التسليح.[١٣٠]

١٣٠- تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، د. علي حسون، ص ٣٢٩

حملت السفن العثمانية بأمر من السلطان عبد الحميد الثاني المهاجرين المسلمين من جزيرة كريت إلى شواطئ عثمانية آمنة بعدما فشل العثمانيون بالدفاع عن أرواحهم وأعراضهم. ترك الكريتيون أموالهم وما يملكون خلف ظهورهم وفروا بدينهم إلى مواطن جديدة تحت الرعاية والحماية العثمانية. وإستقر أكثرهم في عدة مدن أهمها إزمير ومرسين في الجمهورية التركية الحديثة، بنغازي في ليبيا، طرابلس في الجمهورية اللبنانية، الحميدية وهي قرية صغيرة في الجمهورية السورية تبعد حوالي ٢٥ كلم جنوبي مدينة طرطوس وسميت كذلك نسبةً إلى السلطان عبد الحميد، بالإضافة إلى تواجدهم في العاصمة دمشق فيما يعرف رسمياً بحي المهاجرين. وتذكر بعض الأقاويل أن أعداداً من المهاجرين توجهت إلى الإسكندرية في مصر إلا أننا نرجح أن الكريتيين

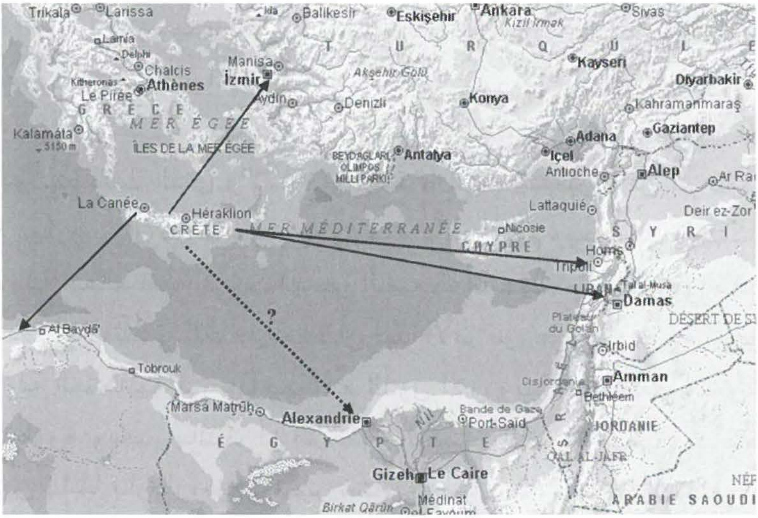

خريطة وجهة المهاجرين من كريت إلى أزمير، طرطوس –الحميدية في سوريا وطرابلس – لبنان

الموجودين في هذه المدينة بالذات قد هاجروا إليها خلال حكم البندقية للجزيرة قبيل السيطرة العثمانية عليها، خاصة وأن مصر لم تكن تحت

السيطرة العثمانية خلال فترة تهجير مسلمي كريت بل كانت تحت الإحتلال البريطاني.

كان السلطان عبد الحميد الثاني حزيناً على فقدانه كريت بهذا الشكل المخزي، كما كان مؤمناً بأن مسلمي الجزيرة قد ذاقوا ويلات عظام للحفاظ على وجودهم فيها، ولكن آل أمرهم إلى فقدان كل شيء، فخسروا الوطن والمال والرزق وأضحوا مشردين في بقاع لا يجيدون حتى لغة أهلها. لذلك كان السلطان متعاطفاً جداً مع المهاجرين، فإقتطع لهم الأراضي الأميرية وأعطاهم ملكيتها كما أمن لهم حاجاتهم ومتطلباتهم وأحسن معاملتهم وهذا ما يفسر حب المهاجرين الشديد للعثمانيين عموماً والسلطان عبد الحميد الثاني على وجه التخصيص.

لقد حل المهاجرون في مجتمعات تختلف عنهم في العادات والتقاليد واللغة والإجتماعيات، ولم يكن سوى إنتماؤهم للدين الإسلامي عاملاً مشتركاً بينهم.

عمل المهاجرون على الحفاظ على طابعهم الأصلي، فلم يتزاوجوا بالسكان المحليين ولم يختلطوا بهم إلا بقدر حاجتهم، فظلوا يتكلمون اللغة اليونانية فيما بينهم ويتوارثون العادات والتقاليد الكريتية الأصلية ورقصاتها الشعبية فضلاً عن الأطباق والمآكل المميزة والإهتمام بأنواع الأعشاب والنباتات التي تنمو في الطبيعة مثلما كان يفعل آباؤهم تماماً في كريت. ولقد كتب الصحفي اليوناني جورجاكاكي Georgakakis في جريدة Tachidromos الأسبوعية في أثينا مقالاً بعنوان «قرية يونانية في سوريا» في أيلول ١٩٧٦م أبدى فيها فرحته ودهشته بوجود شعب يحفظ العادات الكريتية مثل ما هي عليه في الموطن الأصلي، ويتكلم اللغة اليونانية باللهجة الكريتية في بلد عربي.

لقد آمن الجيل الأول من المهاجرين بالعودة إلى الوطن الأم، فإمتنع عن الإختلاط بالسكان العرب ولم يتزاوج منهم كما سبق وأشرنا، كما كان حلم البعض بالعودة والشعور بالقوة لتبني الدولة العثمانية للمهاجرين في تلك الفترة سبباً في إمتناع البعض عن الإنخراط في خضم الحياة والإنشغال بأمور البلد الذي سكنوا فيه حديثاً. ولكن الأماني ما لبثت أن تبخرت مع إنهزام العثمانيين في الحرب العالمية الأولى وقيام الجمهورية التركية بزعامة مصطفى كمال أتاتورك في التاسع والعشرين من تشرين الأول عام ١٩٢٣م وما تبع ذلك من إلغاء للخلافة وتقويض للسلطنة العثمانية في الثالث من آذار عام ١٩٢٤م.

هنا أدرك المهاجرون واقعهم الجديد في البيئة الجديدة، فعكفوا على تعلم اللغة العربية والمهن المفيدة التي كانت في معظمها حرفية بادئ الأمر. ثم ما لبث أن ظهر جيل جديد من المتعلمين الذين إندفعوا للمشاركة في الحياة الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في بلدهم الجديد مع الحفاظ على هويتهم الأصلية ولغتهم اليونانية المحكية التي كانوا يتكلمونها فيما بينهم مع العلم بأنهم كانوا عاجزين عن كتابتها.

تقلد الجيل الجديد -الثاني- المناصب الحكومية في مختلف الحقول وعمل في مختلف المهن والحرف وأخلص للوطن الذي تبناه ورعاه وللأرض التي سيورثها لأولاده وذريته من بعده. وبدأت تظهر بوادر التزاوج والتصاهر مع السكان العرب المحليين لتبدأ مرحلة إنصهار المهاجرين الكريتيين في المجتمع العربي الذي يحيط بهم.

تميز معظم أفراد الجيل الثاني بمعرفتهم للغة اليونانية التي كانوا يتقنونها في بيوتهم ويتكلمونها فيما بينهم بحيث تكون اللغة المحكية في المنزل، ولكنهم ما إن يخرجوا إلى الشارع رأيتهم يتكلمون اللغة

بعض المهاجرين يحملون صورة السفينة العثملنية التي حملتهم من كريت الى طرابلس

العربية بالطلاقة واللهجة المحلية بحيث لا يمكن تمييزهم عن غيرهم من أبناء الوطن الجديد سوى بالملامح العامة والشكل الميال إلى النمط الأوروبي المختلف عن اللمحة العربية في بلاد الشام.

إمتاز هذا الجيل عن سابقه بإنخراطه القوي في البيئة الجديدة فلم يمانع فكرة تزاوج أبنائه وبناته من أهل وطنه الجديد وظهرت عائلات جديدة لا يجيد أبناؤها اللغة اليونانية لأنها لم تعد تستطيع أن تكون

لغة المنزل طالما أن هناك أحد الأبوين لا يعرفها. إلا أنه تم المحافظة القوية على كثير من العادات والتقاليد الكريتية إضافة إلى إهتمام الأب أو الأم من أصل كريتي بتعريف أبنائه بقصة الهجرة والمهاجرين وتوطيد أواصر المحبة بين ذرياتهم، حتى أن أبناء المهاجرين كانوا يهتمون بالبحث عن أقرانهم وأمثالهم وينعتون بعضهم البعض بصفات القرابة الدموية علماً أنهم ينتمون إلى عائلات مختلفة قد لا يكون بينها رابط عائلي محدد ولكن تجمعهم حكاية الهجرة وإسم العائلات الكريتية التي غالباً ما تنتهي بوصلة – آكي – مثل قصباكي، بدواكي، قبضاكي، زيفاكي وغيرها. ومن بوادر الإنصهار التام للمهاجرين إقدام بعض العائلات على تغيير كنيتهم الكريتية تسهيلاً على السكان العرب المحليين لفظها إما بإسقاط وصلة – آكي – من آخر الإسم مثل قصاب بدلاً من قصباكي وبدوي بدلاً من بدواكي، أو بإتخاذ إسم الأب أو الجد ليحل محل الكنية الأصلية لتظهر بالتالي عائلات لا يمكن تمييزها بكنيتها أو بلقبها. إن تبديل الكنية جعل تعرف المهاجرين على بعضهم البعض يزداد صعوبة وتعقيداً خاصة وأنهم لم يسعوا كغيرهم من الشعوب التي تركت موطنها الأصلي وإستقرت في أراض جديدة إلى الإنخراط في السياسة أو العمل على إنشاء مؤسسات تحمي هويتهم الأصلية وتقيها من الإندثار والضياع. ومن حسن الحظ أن الذين إستبدلوا كنيتهم ليسوا سوى فئة قليلة من المهاجرين ليبقى القسم الأكبر محافظاً على لقبه الأصلي الذي كان معمولاً به في كريت.

تميز المهاجرون في موطنهم الجديد بأنهم شعب مسالم غير عدواني، فأحبهم أهل وطنهم الجديد ولم يتجنبوا الإختلاط بهم. ويمكن القول أن السكان المحليين رغبوا في التزاوج من المهاجرين لما تميزوا به من

جمال في الخلقة وطابع أوروبي غالب على سماتهم، إضافة إلى ما تميزت به المرأة الكريتية المهاجرة من عفة وأخلاق ومحافظة على قدسية الأسرة وروابط العائلة وحسن تدبير منزلي. لقد برعت المرأة الكريتية المهاجرة بغزل وحياكة الصوف وصناعة البسط والجرابات السميكة لفصل الشتاء، كما كانت صاحبة خبرة عالية متوارثة عن الأمهات والجدات في العلاج بالأعشاب والنباتات ووصفها لآلام البطن وعسرة الهضم والغثيان والتقيؤ وغيرها.

إن مجتمع المهاجرين كان محبباً إلى أبناء بلدهم الجديد لأنهم لم يكونوا يختلفون عنهم كثيراً في العادات والتقاليد. فالكريتيون هم من المتوسط الذي أعطى أهل كل أرض أطلت عليه صفات متشابهة، فالمناخ واحد والمزروعات واحدة وأشجار الزيتون علامة مميزة لكل البلدان المحيطة به. وإذا ما دخل عامل الدين لوجدنا أن المهاجرين كانوا شديدي الحماسة للإسلام وإن كانت خبرتهم بتطبيق أحكامه وشريعته قليلة لعدم معرفتهم باللغة العربية. وهذا ما يفسر إقبال المهاجرين الشديد على تعلم العربية وإتقانها لفهم دينهم بشكل أشمل وأوضح. وكثيراً ما سمعنا من كبار المهاجرين مقولتهم هذه: «الحمد لله الذي كتب لنا القدوم إلى هذه البلاد فتعلمنا اللغة العربية وفهمنا ديننا.»

لم يسع المهاجرون كثيراً إلى توطيد علاقاتهم بأقربائهم وذويهم في كريت أو تركيا، فهي شبه معدومة تقريباً، على عكس الروابط القوية التي حافظ عليها المهاجرون في طرابلس - لبنان مع أقربائهم في الحميدية - سوريا.

إن المهاجرين اليوم قد أوشكوا على الذوبان في المجتمع الكبير الذي

يحيط بهم، فصارت اللغة اليونانية حكراً على الآباء والأجداد بينما توشك على الإندثار في الجيل الثالث والرابع. أضف إلى ذلك الحياة المدنية وأثرها القوي على محو كثير من العادات والتقاليد القديمة وإستبدالها بعادات مدنية حديثة تتناسب مع الوضع المحلي والعالمي. إن التزاوج والتصاهر مع السكان المحليين كان له أثر آخر في طمس معالم العادات القديمة التي لم تعد تتناسب مع البيئة الجديدة.

إن المهاجرين في الحميدية في سوريا لا يزالون أقرب إلى الكريتيين القدامى من مهاجري طرابلس الذين تحولوا بمعظمهم إلى مجتمع مدني عربي بكل ما في الكلمة من معنى. وتجدر الإشارة إلى ثبات بعض العادات التركية القديمة في مجتمع المهاجرين لكونها مستمدة من الدين الإسلامي ولا تتنافى مع أعراف السكان العرب المسلمين من مبالغة في تعظيم كبار السن وتقديم الطاعة والولاء لهم إضافة إلى حماية الصغار ورعايتهم وكفالتهم وغيرها من عادات إسلامية محببة.

نعم إن الوقت هو أهم عامل لتسريع ذوبان المهاجرين وإنسيابهم في المجتمع المحيط بهم، ولكن شيئاً واحداً لن يتغير أو يتبدل في قلوب المهاجرين ونفسياتهم. إنهم قوم أحبوا عزة النفس وعشقوا الحرية والعيش بكرامة، ولم يلجؤوا يوماً إلى ذل السؤال والإلحاف حتى في أحلك الظروف التي مروا بها. صحيح أن أحداً من المهاجرين لا يفكر بترك وطنه الحالي والرجوع إلى كريت ويعرف الجميع إستحالة ذلك، وصحيح أن الجميع يعلم بأن كريت قد ذهبت من غير رجعة ولكنها في قلوب المهاجرين باقية وذكراها حية لا تموت، تتوارث حكاياتها الأجيال جيلاً بعد جيل، وتحافظ عليها في مخيلاتهم براقة أخاذة.

فَلْتكُن الدنيا كلها كريت[131]

متى سنذهب؟ وكم يوماً سنبقى في كريت؟ سنذهب بالباخرة أليس كذلك؟ ... كانت تسأل السؤال تلو الآخر قبيل إنطلاقنا في هذه الرحلة. ومع أنها عدلت عن سفرها عدة مرات من قبل ، إلا أنها تبدو مصممة هذه المرة لترى بأم أعينها البيت الذي ولدت فيه كما تركته أيديها...

وإذ هي في تلك اللحظة تتذكر ساعة الهجرة من كريت، تتذكر صديقتها فَرفرا وهي تقول لها: «هناك مبادلة وستذهبون». لقد مضت فترة ٧٦ عاماً على السيدة عصمت آلطاي قبل أن تعود كسائحة إلى المنزل الذي حرمت منه بالقوة. كانت في ريعان شبابها وعمرها لا يتجاوز الثانية عشر حين صعدت على متن السفينة التي أخذتها من كريت.

ولقد تقصدت المرور بكريت خلال زيارتي الأخيرة لليونان، تلك الجزيرة التي كانت تحدثني عنها جدتي عصمت دون كلل أو ملل. فأنا من النسل

١٣١- "Bütün dünya girit olsun". Tanju Izbek. Cumhuriyet Pazar Dergisi. Sayı: 720. 09 Ocak 2000. Sayfa: 17-19

مدينة خانيا، ويظهر المسجد الى جانب الكنيسة

الثالث الذي هاجر من الجزيرة. بحثت يومها عن المنزل الذي كانت تحكي عنه جدتي، في مدينة ريسمو، فوجدته وقد أصبح نصف مهدم في قرية تدعى إيرفي على بعد ٢٤ كلم من وسط المدينة.

لقد كانت السيدة عصمت تسير على سطح السفينة بجسدها الصغير سعيدة والساعة لا تتجاوز الخامسة والنصف من صباح لم تبزغ شمسه بعد. كنا أول من نزل من السفينة، نرقب كريت الجميلة المتلألئة كالفانوس المضيء وسط البحر المتوسط كما يقول الشاعر «كالأنثى التي أسندت ظهرها إلى البحر...

خرجت الجدة عصمت ببطء من على سلم السفينة «بريفيلي». ومع سطوع شمس هذا اليوم، بدأت ذاكرتها المشوشة المضطربة باللمعان واليقظة شيئاً فشيئاً وهي تنظر إلى المدينة التي ولدت فيها... وهتفت مشيرة بإبهامها قائلة: «ها هو، إنه مسجد ناراسي». وظهر المسجد بمئذنته التي تعانق السماء،وتابعت قائلة: «لقد سمي كذلك لنوعية

الأشجار التي كانت تحف حديقته».

والتفتت الجدة وقالت: «أنظر يا عزت، إن منزلنا هو بالقرب من مسجد ناراسي على مقربة من البحر، في زقاق ماكري ستينو، ذلك الزقاق الضيق. سترى كيف سأجد منزلي الذي تركته منذ أكثر من سبعين سنة. وأردفت باللغة الرومية وقالت: Stu sari sto hamami koda أي على مقربة من الحمام ساري.

لقد كان هذا الحمام بمثابة إشارة للجدة عصمت التي كانت تلعب مع صديقتها فرفرا بالقرب منه. وحولت وجهها ببطء، وأشارت إلى السور المحيط بالمدينة من كل جانب، «ها هو فورتيكا Foteca »، ثم رفعت عيناها إلى الأعلى وكأنها تبحث عن شيء ما، وأشارت إلى الجبال الشامخة بسيلوريتي Psiloriti وقد كنت أسمع جدتي تنشد قصيدتها المفضلة لأجله وتقول:

إذهب إلى حيث تريد	Opu ce pas na kuvalas
حجارة وتربة بسيلوريتي	Homa a pto psiloriti
آه لو كان بإمكان الدنيا	Ah ice na ha tane
أن تكون كلها كريت	Olos o kosmos kriti

وارتجف صوت السيدة عصمت ولم تتمالك نفسها فذرفت الدموع لتقول: «كريت هي جنة الدنيا». وهتفت من جديد: «أنظر، ها هو المرفأ الذي ركبنا منه في رحلة التهجير، لم تكن أيامها السفينة ترسو إليه مباشرة وإنما كنا نركب قارباً صغيراً يوصلنا إلى الباخرة. لقد كان قبطان تلك السفينة رجلاً شهماً، رحمه الله. لقد ساعدنا وطمأننا كثيراً بأنهم لن يستطيعوا الوصول إلينا وإلحاق الأذى بنا. ووعدنا بأنه سيوصلنا

بأمان إلى وطننا الجديد، وهذا ما حصل. لكأني أراه بأم عيني اليوم. لقد حمى القبطان البنات التركيات وكان إنساناً جيداً.»

تركنا المرفأ بإتجاه الزقاق الطويل الضيق ماكري ستينو وقد إصطفت فيه البيوت التركية ليبدو وكأنه العمود الفقري لهذه المحلة.

وذاع خبر وصول الأهالي الكريتيين المهاجرين القدامى في مدينة رثيمنو، فتجمهر الناس مترقبين قدومنا لإستقبالنا. وكان من بينهم من تكبد العناء والمشقة في مرافقتنا وإيجاد منازل المهاجرين وما بقي من آثارهم.

وفي الأزقة ترى المعانقين للجدة العجوز والمرحبين بأصوات مرتجفة. وكانت الجدة عصمت تتقدم بخطوات صغيرة متفحصة بدقة كل ما تراه، خاصة في هذا الزقاق الضيق المطل على البحر... هنا ولدت السيدة عصمت.

وكم أعجبت بشرفات المنازل والحدائق الصغيرة الملأى بالأزهار والورود والعبق العطر.

«ها هو حمام ساري! وها هو بيت جدي، كانوا ينادونه عارف أغاداكي، نعم لقد ولدت في هذا المنزل» قالت السيدة عصمت جملتها وهي تنزل سلم المنزل لتجد سيدة فتسألها عن صديقتها السيدة فَرفرا. أجابت أن السيدة فَرفرا كانت تجلس على عتبة هذا الدار لسنوات طوال، وذهبت بعد أن باعت والدتها المنزل إلى سكانه الحاليين. ومن المنزل المقابل هرولت السيدة مارينا كوروداكي مع زوجها حاملين الموز والجوز والشراب لتقدمه إلى صديقتها القديمة جداً... الجدة عصمت.

لقد تحول الزقاق إلى ساحة عيد، الجدة عصمت بين أحبابها وصديقاتها القدامى أمام منزلها القديم. ولكن إبنها عزت كان يبكي...! وفتح باب البيت لتخرج منه إمرأة يونانية جميلة تحمل إبنها. لقد علمت أن البيت الذي تسكنه كان في يوم من الأيام للجدة عصمت. خاطبتها باليونانية أن «تفضلي إلى الداخل يا جدتي» فشكرتها السيدة عصمت على لطفها ودعت لها بالعيش فيه مع أبنائها وعائلتها بأمان وسلام.

توجهنا بعد ذلك إلى المدرسة التركية التي تركتها السيدة عصمت وهي في صفها السادس. أمسكت الجدة بجدران المدرسة بحنان وشوق وقالت: «هنا تعلمت قراءة وكتابة اللغة اليونانية».

«كم من الجميل أن نرى الأتراك من أصل كريتي يأتون إلى جزيرتنا ويمشون بيننا»! سمعنا هذه الجملة كثيراً من سكان الجزيرة الحاليين. ويا لسعادتنا أن نأتي في نهاية القرن العشرين حاملين معنا شوقنا وحنيننا إلى وطننا الأم ومعنا رسائل الحرية والسلام والتعايش، ولكن كل شيء جميل له نهاية. لقد حان موعد الرحيل....

توجهنا إلى ميناء رثيمنو وقلوبنا تخفق ونحن نرى سكان الجزيرة يودعوننا وفي أيديهم الورود الحمراء، يبكون ويطلبون منا العودة لزيارتهم مرة أخرى! إنها نهاية يوم جميل في هذه الجزيرة الجميلة.....

ركبنا السفينة عائدين والجدة عصمت تعانق الكمان الكريتي الذي أهدي إليها من أحد سكان كريت. وتهيج العواطف وتجيش عندما تقدم شاب من الجدة وأخذ منها الكمان عازفاً ومغنياً لها هذه القصيدة:

Klene ke sto Ayvali	يبكون في أيفاليك
Ma ke stin Kriti Klene	ولكنهم يبكون أيضاً في كريت
Ya tus polemus pendote	مسببوا الحرب هم
Mono i magali ftene	دائماً وأبداً الكبار
Opisos sti Kriti yenithi	ومن يولد في كريت
Kserizomo dan psani	لا يمكن أن ينسى وطنه
Ahi tin Kriti mesadu	يحمل في قلبه كريت
Mehri put ha pethani	دائماً وحتى موته!

خاتمة

إن كل شبر من أراضي الدولة العثمانية يعني مئات من الشهداء والدم القاني الذي بذل في سبيل السيطرة عليه. ومن أكثر الجزر التي كلفت الدولة والملة العثمانية تضحيات جسيمة في المال والبدن رودوس وكريت.

لقد أشرف السلطان سليمان الأول الكبير الملقب بالقانوني بنفسه على إدارة جيش كبير وأسطول هائل لشهور طويلة وحروب دامية لفتح رودوس. أما بالنسبة لفتح كريت، فلقد دام الصراع عليها أكثر من ربع قرن، وشاهدت جبهتها آلاف الحروب وأعنفها وأكثرها دموية، حتى يكاد يقال بأن ما دفعته الدولة العثمانية على جبهة كريت يساوي مئة ضعف ما بذل على جبهة رودوس حتى تمت السيطرة التامة على هذه الأرض المنيعة وشعبها العنيد في عهد السلطان محمد الرابع. ويكاد يقال بأن التضحيات الجسيمة في المال والرجال التي بذلت للسيطرة

على قلعة قنديا لوحدها أشبه بالأسطورة المنقطعة النظير في تاريخ الحروب والسيطرة على القلاع.

وانطلاقاً من فكرة Megali Idea أو الفكرة الكبرى اليونانية الهيلانية، فإن تحويل هذه البقعة الجميلة المعروفة عند العثمانيين بـ ´روضة من الجنان´ إلى مسرح للمشاكل والفتن وأعمال الإجرام كان هدف اليونان الأساسي لإثارة القلاقل في وجه العثمانيين، معتمدين في ذلك على أبناء مذهبهم وعقيدتهم من الكريتيين المتطلعين إلى الخلاص من سيطرة المسلمين وحكمهم، وهو ما كلف العثمانيين الكثير الكثير للحفاظ على وجودهم هناك.

كانت ثورة ١٨٦٧م أكبر حركة تمرد تقع في كريت. ومع أن العثمانيين إستطاعوا إحتواءها والتغلب عليها، إلا أنها كانت بداية النهاية للسيطرة العثمانية على الجزيرة.

وكانت آخرثورة كبرى عام ١٨٩٤م في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، نتج عنها مذابح بين المسلمين والمسيحيين وإنتهت بحركة تهجير واسعة النطاق للكريتيين المسلمين إلى المناطق العثمانية الآمنة حيث أخذ السلطان على عاتقه تأمين الغذاء والكساء والمأوى للمهاجرين وإقتطع لهم أراض أميرية عرفت بالحميدية تعويضاً عن ما خسروه في وطنهم الأم.

لقد حاول السلاطين العثمانيون كسب ود سكان الجزيرة مراراً وتكراراً بإصدار الفرمانات التي تمنحهم إمتيازات كثيرة وحريات متعددة، ولكنها باءت بالفشل الذي تلاحق حتى ٢١ نيسان من العام ١٩٠٥م حين أجرت القوات الحليفة إستفتاءً شعبياً لمن تبقى في جزيرة كريت

قرر فيه الناس إنفصالهم عن الدولة العثمانية وإنضمامهم للسيادة اليونانية.

لم تنعم جزيرة كريت بالرفاهية والطمأنينة تحت الحكم اليوناني كما كان يظن شعبها، فبقيت مسرحاً لأعمال الشغب والعنف والمقاومة ضد الدولة التي كانوا يناضلون من أجلها هذه المرة... الجمهورية اليونانية.

أما المهاجرون فكان عليهم تعلم لغة جديدة وإكتساب حرف جديدة والتأقلم مع بيئة جديدة وأقوام جدد، فعانوا الكثير خاصة وأن الدولة العثمانية التي كانت تذود عنهم وتحميهم ما لبثت أن لفظت أنفاسها الأخيرة إبان الحرب العالمية الأولى ليبقى المهاجرون أمام أقدارهم وحيدين.

تأقلم المهاجرون في وطنهم الجديد، وأحبوا اللغة العربية وعكفوا على تعلمها، ثم ما لبثوا أن سمحوا بالتزاوج والتصاهر مع السكان المحليين ليبدأ عهد الإنصهار مع البيئة الجديدة والمواطنين الجدد. وإذا كانت كريت لا تزال حية في قلوبهم وبراقة في مخيلتهم، إلا أنهم مخلصين للوطن الجديد ولأبنائه الذين ساعدوهم ونصروهم.

لقد بدأ التاريخ الإسلامي بالهجرة إلى الحبشة مرتين، ثم كانت الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وكان منذ ذلك الحين مهاجرون وأنصار، ثم تتابعت الهجرة ولم تنته إلى يومنا هذا.

لقد ظهر منذ بدء التاريخ حب السيطرة والهيمنة بالقوة، وإخضاع الآخرين بالسلاح والقهر والظلم. لكم هو مؤلم أن تعيش البشرية تؤرخ للويلات والحروب والتهجير، وكم هو مقيت أن يترك الإنسان ليقتل أخاه الإنسان دون رأفة ولا رحمة. والقبيح أكثر أن من السهل على بني البشر

إختلاق الأعذار والحجج وإختراع الأكاذيب لتبرير عملية القتل والجريمة التي يقترفونها. الكل على حق، فتارة لنصرة الدين، وأخرى للوقاية من الخطر، وغيرها لدرء المفاسد... ولكن الدماء تهرق والأرواح تزهق والأرزاق تتلف. إننا ندعو إلى الحب والسلام، وأن يكون الإنسان عوناً لأخيه الإنسان، وأن تكون الطاقات تبذل والعقول تفكر في إسعاد البشرية لا قتلها مهما يكن المبرر المزعوم.

لقد دعت الأديان السماوية كلها إلى التسامح والمحبة، وكثرت التعاليم والآيات التي تنادي إلى فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وتقديم السلام على الحرب وإحترام شيخوخة العجائز وضعف الأطفال وخوف النساء.

لقد تناسى الناس كل دعوات الرحمة وإتبعوا القسوة والبغي والفساد في الأرض حتى علت صيحات المتألمين وأنين المظلومين في كل بقعة من بقاع الأرض.

إننا نحلم بعهد تشرق فيه أنوار المحبة والسلام ويعلو فيه شأن الإنسان والإحترام المتبادل وتنقضي فيه الحروب والجريمة والتهجير. وليكن هذا الكتاب صيحة في الأثير، تحمل في طياتها حكاية التهجير، لعلّها ترجع بالحب والوئام بين بني الإنسان.

مراجع الكتاب

١. تاريخ الدولة العلية العثمانية، تأليف الأستاذ محمد فريد بك المحامي، تحقيق الدكتور إحسان حقي. دار النفائس، الطبعة الثانية ١٩٣٨م.

٢. تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، تأليف الدكتور علي حسون. المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

٣. العثمانيون من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، تأليف الدكتور محمد سهيل طقوش. دار بيروت المحروسة، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٤. السلطان عبد الحميدج الثاني، مذكراتي السياسية. مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

٥. كريد (باللغة العثمانية)، المؤلف؟. آرتين أمادوريان ومخدوملرى مطبعه سنده طبع أولنمشدر – إسطنبول. أواخر القرن التاسع عشر، السنة؟

٦. الأرشيف العثماني، من تاريخ ١٨٧٥ لغاية سنة ١٩٢٠م.

٧. «مع الله، دراسة في الدعوة والدعاة»، تأليف محمد الغزالي. دار القلم الطبعة الرابعة ٢٠٠٠م.

٨. "Dünya Hayatının Gerçeği". Harun Yahya

٩. www.enfal.de/otarih.htm "Muhtasar Osmanlı Devleti tarihi"

١٠. Türkiye'nin etnik ve dini bileşimi, Trabzon örneği.
www.mathuat.com/konular/tarih/tarih3-.htm
"Trabzon Şehrinin islamlaşması ve türkleşmesi 1461-1583"
Boğaziçi Üniversitesi yayınları, İstanbul 1998, 190 s.,
ISBN 975-518-116-4 - Izzet Akyol

١١. Tarihten günümüze ibret ışıkları - Osman Topbaş, Altinoluk - Ekim 1997
www.altinoluk.com/dergi/140/s20.html

١٢. www.osmanli700.gen.tr/padisahlar/32girit.html

١٣. "A History of Crete" by Spyros Koutsoupakis
www.tughranet.f2s.com/crete.htm

١٤. "Girit bizim canımız idi", M. Necati Sepetçioğlu.
Zaman Gazetesi, Pazar dergisi, 10/12/2001

١٥. "Trouble in Crete and the Balkans". A Modern History by William Yale, excerpt from THE NAR EAST.
Ann Arbor: The University of Michigan Press, 1958

١٦. "Bütün dünya girit olsun", Tanju Izbek.
Cumhuriyet Pazar Dergisi, Sayı: 720, 09 Ocak 2000, Sayfa: 17-19

١٧. "Yunanistan Türkiye' den ne istiyor?"
www.turkatak.gen.tr/Yunan/yunanistan_ve_teror.htm

١٨. Selehattin Salışık: "Tarih Boyunca Türk-Yunan İlişkileri ve Etnik Eterya", İstanbul 1968

١٩. "Girit te 1577 den sonraki durum."
www.mfa.gov.tr/turkce/grouph/hg/hgb/14.htm

٢٠. www.kimkimdir.gen.tr/eleutherios_venizelos/index.htm

٢١. www.devletarsivleri.gov.tr/yayin/osmanli/yunan/III-4-Griti Yunanistana Baglama Girisimleri.htm

٢٢. Büyürk Larousse Sözlük ve Ansiklopedisi-Cilt 9

٢٣. Girit halkı yunanistana karşı özgürlüğünü istiyor. Şubat 1998

٢٤. İstanbul Üniversitesi, Atatürk ilkeleri ve inkilap tarihi enstitüsü, Atatürk ilkeleri ve inkilap tarihi Ana Bilim Dali. Türkiye ve Yunanistan devletleri arasında mübadele meselesi ve kamuoyu (1918-1930). Cahide Zengin 1998, Doktora tezi. Danışman Prof. Dr. Ali İhsan Gençer.

٢٥. Girit'te S-300 isyanı, Radikal Gazetesi, 01/01/1999 www.radikal.com.tr/1999/01/01/dis/gir.html

٢٦. INAF Haber bülteni, Yunanistanın başağrısı

٢٧. Hayat Tarih Mecmuası, Türk Denizcileri: Girit'i nasıl kaybettik? Yazan: İhsan ILGAR, 1969

٢٨. Girit kıbrıs olabilir mi? Nükhet Adıyeke, Mersin Üniversitesi, Tarih bölümü

٢٩. International Colloquim: The Final Stage of the Cretan Question. Abstracts from Robert Holland, Ron Phillips and Olga Sokolovskaia

٣٠. Anderson, Frank Maloy and Amos Shartle Hershey, Handbook for the Diplomatic History of Europe, Asia and Africa 1870-1914. Prepared by the National Board of Historical Service. Government Printing Office , Washington, 1918

الفهرس

* بين يدي القضية	٧
* المقدمة	٩
* جغرافية كريت وأهميتها	١٣
* من هم سكان كريت	١٧
* كريت تحت الحكم العربي	٢١
* كريت تحت حكم البندقية	٢٥
* كريت تحت الحكم العثماني	٢٧
– تمهيد	٢٧
– السلطان إبراهيم الأول فاتحاً لكريت	٢٨
– سقوط كانديا بيد العثمانيين ومعاهدة ٦٢ أيلول ١٦٦٩م	٣١
– العثمانيين يحكمون السيطرة على كريت	٣٣
* ثورة داسكالوينيس (١٧٧٠م)	٣٥
* ثورات القرن الثامن عشر	٣٧
* محمد علي باشا والياً على كريت	٣٩
* فتنة جديدة في كريت	٤٣
* ثورة كريت الكبرى (١٨٦٦م)	٤٥
– الأبطال الحقيقيون المدافعون عن كريت	٤٧
– نهاية الثورة	٥٠
* كريت بعد عام ١٨٧٧م	٥١
* هجوم لم يقع...	٥٥

* وضع الجزيرة بعد خطر الإحتلال الأخير ٥٩
* أحداث ما بعد ١٨٨٥م ٦٣
* تطورات سياسية على الجبهة الكريتية ٧٠
* الأحكام العرفية في كريت ٧٣
* كريت قبل الحرب العثمانية - اليونانية ٧٥
* الموقف الأوروبي الجديد من قضية كريت ٧٩
* البرقيات اليونانية والعثمانية إلى أوروبا ٨١
* الرد الأوروبي- اليوناني ٨٥
* آخر ثورة في كريت والحرب العثمانية-اليونانية ٨٩
* نهاية الحكم العثماني وبداية التهجير ٩٣
* مراحل إنتقال كريت إلى الحكم اليوناني ٩٧
- كريت والحرب العثمانية- اليونانية ٩٧
- أحداث عامي ١٨٩٨-١٨٩٩ ٩٨
- مرحلة الهدوء النسبي بين عامي ١٨٩٩-١٩٠٤م ١٠٣
- محاولات الإنضمام إلى اليونان بين ١٩٠٤-١٩٠٦م ١٠٥
- الثورة العثمانية في إسطنبول عام ١٩٠٨م ١٠٦
* آلوثيريوس فنيزلوس ١٠٩
* الفكرة الكبرى ١١٣
* الإهتمام الأوروبي بجزيرة كريت ١١٧
* السياسة اليونانية تجاه كريت ١١٩
* خصائص سكان كريت ١٢١
* من هم المهاجرون؟ ١٢٥
* مصير المسلمين المتبقين في كريت ١٢٩
* أحوال مسيحيي كريت بعد رحيل العثمانيين ١٣١

* المهاجرون في لبنان وسوريا	١٣٧
* فلتكن الدنيا كلها كريت	١٤٥
* خـاتمـــــــة	١٥١

الكتاب في سطور

لم تكن كريت جزيرة عادية في يوم من الأيام، ولكنها كانت مسرحاً للكثير من الأحداث الساخنة والحروب الدامية.

تنافس على فتحها سلاطين بني عثمان، وذرف على فقدانها السلطان عبد الحميد الثاني الدموع.

مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين، خرجت منها قوافل المهاجرين، على السفن العثمانية الحميدية، بعدما عانوا ويلات القتل والإضطهاد والتشريد.

إنها قصة شعب هاجر ليحافظ على كرامته وعنفوانه، وتاريخ قوم عرفوا بنفوس أبية عزيزة، ورؤوس شامخة عتية....

المؤلف في سطور

- من مواليد طرابلس، لبنان ١٩٧٢.
- حاز على شهادة الطب العام عام ١٩٩٤ ونال شهادة الإختصاص في الجراحة العامة عام ٢٠٠٠ من جامعة مرمرة، اسطنبول، تركيا.
- عضو في الجمعية الأميركية لأمراض الثدي.
- عضو في الجمعية الأوروبية لجراحة المنظار.